سميرة

بنت الجزيرة العربية

مكتبة نوميديا 71

Telegram@ Numidia_Library

ذكريات دامعة

قصة

منشورات زهير العلبكي - بيروت

بنت الجزيرة العربية

ذكريات دامعة

قصة

منشورات زهير بعلبكي - بيروت

حقوق الطبع محفوظة للمؤلفة

طبعة جديدة

الإهداء

إلى الحبيب الوحيد ...

إن قلبي غلاف لروحك الطاهرة ، وصدري مرتع لذكرى أيامنا التي مرت بها الأيام . وأصبح هذا الفؤاد مركزاً يشع بأحلامك .. وأمانيك .. وآمالك .

أيها الحبيب الوحيد ...

أتذكر أيام حبنا .. أتذكر أيام صبانا .. أيام شبابنا .. نعم تذكر والذكرى خير سلوى .

أيها الحبيب الوحيد ...

لك أهدي هذه القصة وهي من خلجات قلبي ، ومن وحي حبي كتبتها أتأمل حياتك بين أناملك .

مقدمة بقلم

سمو الأمير نواف بن عبد العزيز السعود

سميرة بنت الجزيرة العربية كانت المصادفة وحدها هي التي عرفتني بشخصيتها . اذ حدث في مناسبة انني كنت أزور صديقا وفي مجلسنا هذا قدم لي الصديق قصة وطلب مني أن اطالعها . فألقيت نظره على عنوانها فاذا : ودعت آمالي ومؤلفتها .. سميرة بنت الجزيرة العربية .. فرفعت نظري اليه متسائلا : بنت الجزيرة ، من هي ؟ فنظر الي صديقي قائلا : سميرة ، ألا تعرفها ! قلت : هذا ما أراه أمامي على الغلاف ، ولكن من تكون ؟ قال صديقي: لا أدري ، فلقد كنت اعتقد انك أعلم بها مني .

وعدت الى القصة اقلب صفحاتها فوجدت أبطالها يتحاورون بلهجة غير لهجة الجزيرة ، فأعدت القصة اليه وأنا أقول : لا بد أنها بعيدة

عن هذه الجزيرة . وسألته : كيف حصلت عليها ؟

فقال : اشتريتها بعد أن جذبني عنوانها واسم مؤلفتها.

ولم أكن اعتقد أن الصدفة وحدها هي التي سوف تطلعني على شخصية بنت الجزيرة . وقرأت بعد ذلك لبنت الجزيرة قصة اخرى في مجلة معروفة ، وطالعت أيضا قصتها « ذكريات دامعة » . وهنا ظهرت حقيقة القصد من هذه الصفة التي اطلقتها على نفسها مؤلفتنا هذه . وكأنما أرادت أن تعبر بطرف خفي عما في قلوب بنات جزيرتها وعما يجول بخواطرهن . كانت تصور المأساة . . والدموع في أبطال قصصها وكأنها تصور حوادث واقعة بالفعل في أحد البيوت ، وترشد بلسان هؤلاء الابطال الى ما تتعرض له بنات الجزيرة من مآس . .

وقد تبين لي القصد من اتجاهها الى الكتابة بلهجة تختلف عن لهجة الجزيرة ، وكأنها أرادت ، والعذر معها ، أن تصور لمجتمعها مجتمعا آخر في غير جزيرتها تأخذ فيه الفتاة حقها المفروض في كتاب الله . وبما دعاها الى

عدم ذكر اسمها الاعتبارات العائلية والتقاليد المتوارثة التي تحرص فتيات العائلات المثقفة على احترامها .

وليت بنت الجزيرة حدثت الآباء والأمهات على أن هذه الدموع تذرف في كل ناحية من نواحي بيوتهم بسبب التزمت العائلي الذي يجبر الفتاة لنزوة في الاب والام للزوج بها لمن لا تحب ، وهم يعتقدون خطأ انهم أعلم بمصلحتها منها . لقد صورت بنت الجزيرة بأمانة ودقة ما يدور من مآس ينتج عنها فقد أعز ما يحب الإنسان بسبب حماقة الآباء وأولياء الامور . ومما لا شك فيه أنه ما من والدين الا وينشدان السعادة لاولادهما ، ولكن تمسكهم بالتقاليد زج بهم الى الحرمان من السعادة وفقد الحب الحقيقي .

انظروا أيها الآباء والامهات، انظروا الى هذه الدموع وتساءلوا : لماذا تسكب بنت الجزيرة كل هذه الدموع في كتابتها؟ انظروا اليها وخذوا عنها العبر ، وارسموا مستقبلا زاهرا لاجيالكم حتى تجف دموع بناتكم .

ولي كلمة اخيرة ، وهي أننا لو تذكرنا

ذكرياتنا الدامعة لما ابتسمنا أبدا . فالى الجزيرة اقدم بنت الجزيرة في قصتها الخالدة : ذكريات دامعة .

نواف بن عبد العزيز آل سعود
جدة / صفر / ١٣٨١
١٤ / ٧ / ١٩٦١

١

تطلعت سيدة الدار حولهـــا بعينين وقراقتين فيهما ذكريات الماضي الجميل ، وأخذت تعيد أيامه ولياليه ، فوجدت نفسها وحيدة في هذه الدار الكبيرة التي شاهدت معهـــا أروع أيام عمرها .... ولولا هـــذه الذكريات التي عاشتها في هـــذا البيت الكبير لنزحت الى مكان صغير تستعيد فيه ذكرياتها حتى تأتيها المنية ، وتلحق بزوجها الراحل ...

كانت سيدة في عنفوان الشباب ، تبدو جميلة ... الا أن الايام وخطت رأسها ببعض شعيرات بيضاء فوهبتها وقارا مصدره الالم والحزن ، والحسرة ، ولولا تلك الصفات لظهرت محـــاسن عينيها اللتين رأت بهما المـــاضي ، وما كانت عليـــه .. والحاضر وما هي فيه ...

أخذت وهي جالسة في صدر البهو تتذكر ، وتتحسر على فراق ابنتها التي بقيت لها من ذكرى زوجها الراحل ، والتي سافرت مع زوجها ،تركت لها فراغا كبيرا . وقامت من مكانها الى النافذة ،

وأخذت تنظر الى السماء والى الامطار التي انعكست في عينيها ، والى الاشجار التي أخذ الهواء يطوح بها .. والى حياتها التي طوحها الزمان ، فراحت تتحـــامل على نفسها حتى اتت اقرب أريكة وجلست عليها وهي محطمة القوى منهارة الاعصاب ، وأخـــذت تبكي بحرارة وحرقة تعاني آلام الوحدة ولوعة الفراق .. وكأن السماء أخذت تبكي لبكائها .. والهواء يثير شجونها ، والبرق يحرك عواطفها ، ويوقظ آلامها .

وانهمرت الامطار بشدة ، وأطلق الهواء صفيرا حادا يقشعر له البدن، وومض البرق بعنف ... واذا بالنافذة تندفع بقوة الهواء محدثة صوتا عاليا .... وأخـــذت قطرات غزيرة تخترق اطار النافذة الى البهو ، والسيدة ساهمة في عالم ذكرياتها التي تعيش فيها .

وهرولت الى البهو خادمة كبيرة السن على رأسها طرحة بيضاء وتقدمت الى النافذة واغلقتها ثم نظرت الى سيدتها وسألتها قائلة :

ـ فيه حاجة يا ست ؟ ...

ولكن السيدة لم تجب الا بدمعة انهمرت من مقلتيها ، فقالت لها الخادمة مواسية :

ـ ليه عامله في نفسك كده يا ست .. كلها يومين وترجع لنا الست سلوى .. وعريسها الاستاذ أحمد وينوروا البيت .. قومي وريحي جسمك شويه وربنا يفرجها ...

ثم قامت السيدة متثاقلة الى غرفتها واستسلمت لخادمتها الحاجة

أمينة التي أخذت تبدل لها ثيابها وقامت لسريرها بين أحلام اليقظة.. وأحلام المنام .

ظلت على هذا الحزن زمنا طويلا وهي لا تذوق طعم السعادة التي غابت عنها منذ أن سافرت ابنتها مع زوجها الى اوروبا حيث مقر عمله . لقد أظلمت الدنيا لبعدها. فصار صبحها ليلا وليلها سوادا لا يرى ولا ينظر .

مرت الأيام ثقيلة بطيئة ، اللهم الا ساعات كانت تقضيها الام في قراءة رسائل ابنتها فكانت تؤنسها بعض الشيء وتبدد ظلام الوحدة وقتاً ما وان كانت تثير شجونها عقب قراءتها .

وما هي الا أشهر انقضت حتى حملت اليها رسالة أجمل خبر لديها . أن سلوى ابنتها تنتظر حادثاً سعيداً ، يا لها من فرحة ، ويا له من خبر سار ، وان كان ألم الفراق لم يترك في قلبها مكانا ينعم بهذه البشرى السعيدة .

وأصبحت رسائل سلوى تترى الى الام كل صباح ، تحمل لها أخبارها وأخبار الجنين ، وتسهب لها في التفصيل على عادة حواء وتتمنى وتبالغ في الاماني . والام تشعر بمزيج من السعادة والالم، سعادتها لأنها ستصبح جدة ، وألم فراق وحيدتها . وفجأة انقطعت رسائل سلوى وانتاب الام شعور بالقلق والضيق ، وانتابتها الهواجس واحاطت بها الافكار السوداء . ترى ماذا حدث ؟.. اللهم لا حول ولا قوة الا بك . وارسلت الرسالة عقب الرسالة

ولكنها ما ظفرت برد رسالة واحدة . وكادت الام تجن حتى كانت عصر يوم جمعة جالسة في حديقة منزلها مع احدى صديقاتها فرأت سيارة تقف امام منزلها ويهبط منها زوج ابنتهـــا ، فاسرعت نحوه ضاحكة الثغر متهللة الاسارير ممطرة اياه بوابل من كلمات العتاب، ولكنها حينما اقتربت من السيارة جمدت في مكانها وبردت أطرافها وجحظت عيناها وجالت ببصرها داخل العربة ثانيـة ولكنهـا لم تر سوى ما رأته أولا : لفافة من القماش يطل منها رأس طفل وليد . فنظرت الى زوج ابنتها وقالت بصوت وكأنه صادر من جوف قبر أو بئر عميقة :

ـ أين سلوى يا أحمد ؟.

فطأطأ رأسه الى الارض ولم يحر جواباً ، ورأت قطرات من الدمع تتساقط من عينيه فصرخت صرخة ردد صداها ما حولها من مبان ، ثم هتفت به :

ـ أين سلوى ، تكلم !

فنظر اليها قائلاً بصوت متقطع :

ـ لقد كانت وديعة واستردها صاحبها .

وسقطت الام على الارض فاقدة الوعي ، تهذي بكلمات غير مفهوم أكثرها :

ـ سلوى .. ماتت ! كيف ؟ مستحيل .. قل غير هذا يا أحمد كيف تموت وتتركني وحيدة في دنياي هذه ؟. أتموت دون ان

تودع امها .. غير معقول ! انها تحب الدنيا فكيف تتركها ..

ثم غابت عن وعيها حتى خيل لاحمد أنها لاحقة بابنتها دون شك ، فأسرع داخل المنزل علّه يجد شيئاً يحاول اسعافها به ثم عاد ومعه زجاجة من ماء الكولونيا . ومسح بشيء منها على جبين المغمى عليها ، وقرب كفه من أنفها علها تنتعش أو تستفيق . وأسرعت صديقتها اليها تحاول أن تعرف ما حدث فرأت مشهداً من مأساة دامية على مسرح الحياة : وليد يبكي داخل سيارة ، وجدة تعالج سكرات الموت ، ووالد حائر بينهما . ساعدت الاب لنقل الجدة الى داخل المنزل وعاد الاب الى السيارة ليحمل الوليد . وحينما دلف به الى الغرفة وجدها جالسة على سريرها تولول وتندب حظها العاثر وطالعها المنكود وبجانبها صديقتها تحاول أن تخفف عنها ما حل بها، ولكنها هي الاخرى تذرف الدمع ثخيناً . ومن لا يبكي لهذه الفاجعة ؟!

شابة تموت في ريعان الشباب وميعة الصبا وتترك وليدها دون أن ترضعه من لبنها ، وزوج يحمل لها قلباً ملؤه الحب والحنان والوفاء ، ووالدة بارة رحيمة .. وهكذا انفرط عقد شملهم وفقدت لؤلؤة الثمر الى الابد ، وسيبقى مكانها شاغراً الى الازل حتى يرث الله الارض ومن عليها .

مرت ايام والجدة في نواح متصل وعويل دائم وبكاء مستمر وكأنها وجدت سلواها في هذا الجحيم المستعر . ولقد حاولت صديقتها أن تعيدها الى رشدها وتجعلها تكف عن هذا العويل وذلك

صراخ المستمر من اجل هذه الطفلة البريئة ، ولكن دون جدوى. لقد صهرها الحزن في بوتقـــة الثكل ، والثكل كثير على قلوب الامهات ، فصارت تقضي سحابة يومها وسواد ليلها جالســـة على أريكة وقد حملت رأسها على كفيها تذرف الدمع على وحيدتها .

وتكفلت الحاجة أمينة بتربية الطفلة تحت اشراف والدها الذي كرس كل وقته وجهده لابنته ، كيف لا وهو يرى فيها كل آماله.

ومرت الايام على وتيرة واحدة وصورة مكررة من أول أيام البؤس والشقـاء ، حتى غير من وضعها ورود برقيـــة من المركز الرئيسي لعمل صهرها فحواها الامر بالعودة سريعاً . ودخل على الجدة بيده البرقية ، وعلى وجهه ارتسمت علامات الحيرة والقلق . ونظرت اليه الجدة مستفسرة ولكنه لم يمهلها حتى تتكلم ، اذ بدأ حديثه قائلا :

ـ نينه : أنا مضطر للسفر غداً . لقد وردت الي برقيـة تطلبني على عجل ، ولكن قبل أن اسافر لك معي خطـــاب من سلوى كتبته قبل أن ...

وفاضت الدموع من عينيه . ثم أخرج الخطاب من جيبه بيـد مرتعشة ووضعه بين يديها .

قرأت الام الخطاب بعينين دامعتين وقلب واجف حطمـــه الحزن وأضناه الالم .

امي الحبيبة :

اكتب اليك وانا على فراش المرض ، اصارعه ويصارعني ولكنه لن يستطيع ان يسلبني الحياة . لقد اكد لي الاطباء بأن حالتي سوف تتحسن ما دمت راغبة في الحياة وأقاوم شبح الموت ، ولكن اصدقك القول يا امي .. لقد خارت قواي ولن استطيع المقاومة لمدة طويلة . انني كالغريق الذي فقد الامل في النجاة والامل فيها أوهى من خيط العنكبوت . .

اماه ، اني راحلة لا محالة ، فقد قربت المنية ، ولست حزينة ولا جازعة ، وأرجو أن لا تندبي علي ولكن ترحمي ، لقد تركت لك ابنتي وهي صورة طبق الاصل مني سوف تكون سلواك بعدي . فحافظي عليها واسهري على راحتها فهي ميراثك مني ووصيتي لك . أواه يا امي . عفوا . كيف أطلب منك الرحمة لابنتي وأنا أعلم أنك الوحيدة لها من بعدي وخير من يرعى مصالحها .. استودعك الله يا امي ، والى اللقاء في جنة الخلد يا أرحم أم في الوجود .

ابنتك

سلوى

نهضت الام من مكانها بعدما مسحت دموعها المنهمرة وأسرعت الى الغرفة المجاورة ووجدت الطفلة نائمة فحملتها وأخذت تقبلها بحرارة ودموعها تسيل على خديها ، ورفعت رأسها الى السماء متضرعة الى الله أن يلهمها الصبر والسلوان ثم قالت بصوت منخفض :

ـ عهد أقطعه على نفسي أمام الله ، ووفاء لوصيتك يا سلوى ، سوف أسهر على راحتها كما سهرت على تربيتك ، واعطيها من الحنان والحب أكثر مما كنت ستعطينه لها ، وسوف أجعل من حياتك يا وليدتي امتدادا لحياة امك .

ودخل الاب وأحس بالراحة حينا وجدالام وقد أفاقت لنفسها وزاد من راحته حينما قالت له :

ـ أحمد ، ما رأيك في اسم عهد ؟

ـ عهد .. هذا اسم غريب ، ولكن الرأي رأيك يا نينه ..

مرت السنين وهي لا تجد في الحياة ما يستحق البقاء اللهم الا تلك الابتسامة الحلوة التي ترتسم على شفتي الطفلة ، والتي لولاهـــا لكانت هي والموتى سواء ، ولم تستطع أن تبرىء جراح القلب ولا أن تمحو الحنين الهـــادىء الصامت الذي يجيش بها ويعصف بها الى غالية راحلة نأى بها الموت وأبعدتها الايام .. كانت تحس بسرور الايام ثقيلة بطيئة ، ولقد كانت ترى سخرية القدر قـــد بلغت أشدها .. ولكن من أجل عهد .. لم يكن أمامها سوى الرضوخ للواقع والاستسلام للقضاء، ولم يعد لها سوى امل واحد تتعزى به: هو أن تربي عهداً تربية حسنة .

٢

كان كل من رآها واجتمع بها خـــلال الخمس عشرة سنة يحس بأنها للحياة كارهة متبرمه تتمنى المـــوت ، ولولا حفيدتها لوضعت حدا لحياتها . وكانوا يشعرون بأنها تود أن تعيش في عزلة تامة . وظل حزنها مطويا بين حنايا صدرها .

وفي يوم دخلت عليها احدى جاراتها وجلست بجانبها تبادلهـــا الحديث فرأتها قلقة حزينة . فقالت لها :

ـ ماذا يحزنك اليوم ؟

ـ أرجو يا ليلى أن لا توجهي الي هذا السؤال فهذا أتعس يوم عندي . . ففي مثل هذا اليوم ماتت وحيدتي ومن يومها فقـــدت السعادة المشروعة ولم يبق لي في الحياة شيئا أعيش من أجله سوى تربيه عهد .

ولم تبك وانما أسبلت عينيها فأسبغ ذلـــك على عبارتها صورة كاملة لليأس العميق ولم تعط فرصة لصديقتها لمواساتها ثم قالت :

– تأخرت عهد عن ميعاد المدرسة .

فقالت صديقتها بصوت عطوف يفيض تأثرا :

– ستحضر الآن ، لا تشغلي بالك .

ولم يمض على صمتها وقت طويل حتى حضرت عهد وألقت بنفسها بين أحضان جدتها وأخذت الجدة تقبلها بحرارة ، ونظرت اليها جارتها قائلة :

– حقا ما أضيق العيش لولا فسحة الامل ، فادعي الله بأن يمد لك في عمرك كي تحسني تربيتها وتؤمني سعادتها .

كانت عهد ذكية ، سمراء البشرة بديعة الحسن ، شعرها أسود طويل وعيناها سوداوان ، متفوقة في مدرستها وكانت ترتسم على وجهها امارات الهدوء التام والابتهاج بالحياة ، وفي بعض الاحيان يبدو عليها الشرود حينما ترى جدتها حزينة منطوية على نفسها .

هوايتها الرسم فكانت تجلس الساعات الى مكتبها ترسم . وكانت في جلستها تبدو ساكنة لا تتحرك ومرفقها فوق مكتبها ورأسها معتمد على احدى يديها وأصابع تلك اليد تعبث في خصلات شعرها الفاحم . تجيد السباحة ولعب التنس وكانت تساعد جدتها في أشغال الابرة .

في عصر يوم من أيام الربيع والجو صحو جميل ، جلست الجدة في الحديقة تطرز وتراقب عهد وصديقتها وهما تمرحان في سعادة ،

وكانت هذه الصديقة هي ندى زميلة عهد في المدرسة ، خمرية اللون وديعة المظهر حلوة الملامح تحب عهدا وتلازمها دائما . وبينما هما تلعبان بالكرة اذا بها تقع في حديقة جيرانها . فأسرعت عهد الى جدتها تستأذنها لكي تحضر الكرة ، وتجري عهد وندى الى المنزل المجاور وتدخلان البيت وتأخذان في البحث عن الكرة ولكنهما تفاجآن بفتى يحمل الكرة في يده ويقترب منهما وعلى ثغره ابتسامة قائلا :

ـ تفضلي يا آنسة !

فأسرعت عهد بالاجابة :

ـ نحن آسفين .. أشكرك .

وتلاقت نظراتهما وضحكا ملء فيهما بغير كلفة وكأنهما قد تعارفا منذ زمن طويل . وومضت عيناهما ببريق خاطف ، وأحست عهد بالخجل واحمرت وجنتاها ، ثم كررت شكرها له وأخذت يد ندى واستأنفتا سيرهما نحو منزلهما . وأخذت أنسمة الربيع تداعب جدائل شعرها وخصلاتها المتناثرة على جبينها المشرق ، وتراقص ثوبها الابيض الانيق وقد غمرتها نشوة من السعادة تحس على أثرها شعورا غريبا طرأ عليها .

وقف علاء يتطلع اليهما من مكانه وهو يشعر بنبضات قلبه المتلاحقة ، وهو يبدو في السابعة عشرة من عمره ، سمح الوجه

شعره أسود وعيناه عسليتان صغيرتان ، وفي ابتسامته يبدو الامل مشرقا وفي ملامحه يظهر الاعتداد والثقة بالنفس . وظهرت سيدة في مقتبل العمر وأخذت تنادي :

– علاء .. علاء .. مكالمة تليفونية لك .

فصعد سلم البيت سريعا وأخذ سماعة التلفون من يدها وطبع على خدها قبلة رضا .

حكى لصديقه شريف ما حدث بينه وبين جارته التي كان يراها دائماً في الصباح وهي ذاهبة إلى المدرسة ، وكيف سمح له القدر أن يتكلم معها . كانت نبرات صوته تدل على أنه سعيد ، فأخذ شريف يصغي إليها دهشاً ، لأنه – أي علاء – ليس من طبعه أن يتكلم كثيراً عن الفتيات بمثل هذا الاهتمام .

كان علاء متفوقاً في دراسته يتميز عن صديقه شريف بقوة الشخصية وتكاملها ، وبقدر ما كان شريف ماكراً خبيثاً ، كان علاء طيب القلب مخلصاً في إداء واجبه .

التقى شريف وعلاء في صباح اليوم التالي أمام المدرسة ، ودخلا حجرة الدراسة التي كانت تغص بالتلاميذ وجلسا الواحد بعد الآخر ، وبعد لحظات دخل المدرس وحياهم تحية الصباح وبدأ درسه .

كان علاء يستمع إلى شرح المدرس باهتمام بالغ كعادته ، ولكن صديقه شريفاً كان شارد الفكر لا يبالي بالاستماع ،

ونظر إلى علاء قائلا :

ـ متى سينتهي الاستاذ ؟

ـ خذ بالك من الشرح يا شريف . .

أخذ القلق والضيق يبدوان على وجه شريف ويجعلانه غير مستقر على المقعد . تارة يمد رجليه إلى الأمام واخرى يطويهما ، ولحظة ينحني برأسه على يده ويلقي برأسه إلى الخلف وهكذا ، حتى دق الجرس وانتهت الحصة ونظر علاء إلى شريف قائلا :

ـ لماذا لم تتابع الشرح يا شريف . لقد كنت تميل يمنة ويسرة كأنك جالس على جمر متقد ، وتعبث برجليك تطويهما لتمدهما ثانية وكأنك طفل يعبث على شاطىء بحيرة قرب ماؤها .

ـ ألم تعرف اني بطيء الفهم يا أخي ولا أستطيع أن اتابع الاستاذ في شرحه ولو حاولت لنعبت في نوم عميق ، سوف إزعج الفصل جميعه بما احدثه من صوت .

فضحك علاء وشاركه شريف في ضحكته وأخذا يتطارحان الحديث مع زملائهما حتى قطع عليهما حريتهما مدرس التاريخ . وانتهى اليوم الدراسي وأسرع التلاميذ الى الخارج في خطوات سريعة وظهر بينهم علاء وشريف وسارا غير مسرعين حتى وصلا محطة الاوتوبيس .

ومضى يوم . . وتلاه آخر ... وعلاء يرى عهدا كل يوم في الصباح ويلقي عليها التحية . »

٣

أشرق صباح اليوم عن سماء صافية وشمس هادئة ، ونسيم عليل، واستيقظت الجدة عن نوم خفيف متقطع من التفكير في هذا اليوم السعيد وهو عيد ميلاد حبيبة قلبها عهد . وطلبت من الخدم أن يعدوا البيت لهذه المناسبة السعيدة .

وفي عصر هذا اليوم كان في البيت حركة غير مألوفة ، وكانت عهد تنتقل فرحة في كل غرفة وكأنها الفراشة تمتص رحيق الزهور، تشرف على تنسيق الأزهار وترتيب المائدة . وأخذت تراقبها وهي جذلة سعيدة ، لسعادتها ، ثم اقتربت منها واحاطتها بذراعيها في عطف وقالت :

ـ أتمنى لك يا ابنتي العمر الطويل المديـــد ، وان يجعل الله حياتك سلاما وابتساما وان يهبك الرضا والاطمئنان .

قبلت عهد جدتها بحرارة واستسلمت لذراعيها فضمتها جدتها الى صدرها في حنان بالغ كما كانت تفعل في صغرها ، وأخذت تحدثها

عما اعد وما يجب أن يكون في حفلة الليلة ، ثم قالت لها بأنها أرسلت تدعو جيرانهم كي يشاركوها فرحتها .

وضعت الزهور في الامكنة المناسبة لها وانبعث شذاها عاطرا بجمل الراحة والبهجة للنفس والقلب ، وأخذت عهد تستقبل ضيوفها وعلى ثغرها الوردي ابتسامة مشرقة كانت تجعلها تبدو مثل حور الجنان . جميلة ناعمة تميل ولا تستميل ، هادئة كالنسيم . ترتدي ثوبا أزرق اللون غاية في الرقة والاناقة ، وقد طوقت عنقها المرمري بعقد من الماس . وحين دقت الساعة الثامنة والنصف أخبرها الخادم بقدوم جيرانهم عائلة . . .

فأخذ قلبها يدق سريعا وذهبت تستقبلهم .

مضت الساعات سريعا دون أن يشعر المدعوون بمرور الوقت واخذوا يمرحون ويرقصون حتى طلبت الجدة من المدعوين أن يقصدوا غرفة الشاي . وبعد قليل اضيئت الشموع واطفئت الانوار واقبلت عهد تستقبل عامها الجديد . وبعد انتهاء المدعوين من تناول الشاي لمحت عهد اشارة من علاء يطلب منها موافاته الى الشرفة . فابتسمت له ابتسامة تدل على الرضا وخرجت الى الشرفة واقتربت منه فقال لها :

ـ لقد كنت مترددا في الحضور ولكن عمتي اصرت على الحضور بعدما قبلت الدعوة من جدتك ، فكم أنا سعيد لحضوري

ورؤيتي لاجمل فتاة وقع نظري عليها .

فضحكت عهد واشرق وجهها وقالت :

ـ أشكرك على هذه المجاملة .

فأخرج من جيبه علبة صغيرة ملفوفة بشريط أحمر اللون وقدمها لها قائلاً :

كل عام وأنت بخير .

وفتحتها وإذا بداخلها قلب ذهبي صغير وقد نقش عليه حرفان من اسميهما .

فرفعت عينيها السـوداء الساحرتين وقالت :

ـ هذه أغلى وأعز هدية تسلمتها في حياتي .

فخلعت عقدها الماسي ووضعت مكانه هـــدية علاء وهي تفيض بالسعادة ، وفي نفس الوقت أقبلت صديقتها ندى بصحبـــة بعض صديقاتها ثم قالت :

ـ ما أجمل ضوء القمر الليلة وما أبدع هذا الجو الشاعري .

فضحك الجميـــع وعادوا إلى الصالة وأخـذوا يرقصون . ولكن ظلت نظرات ندى تتبع عهداً وعلاء وعلى شفتيها ابتسامة ماكرة .

وحان وقت إنصراف الجميع فتمنوا لعهـد السعادة وطول العمر ، ثم بدأوا ينصرفون الواحد بعد الآخر والاسرة بعـد الاسرة .

وأقبل علاء عليها مصافحاً ثم همس قائلا :

- إني في انتظارك صباحاً عند ذهابك إلى المدرسة .

فخفق قلبها اضطراباً ثم أقبلت على جدتها وقد استخفها الطرب وغمرتها السعادة وجعلتها تنظر إلى الحياة بمنظار آخر ، فأخذت الجدة تتكلم عن أشياء كثيرة مرت في الحفل ولكن عهداً كانت غائبة عن كل ذلك ، ولم تسمع شيئاً مما قيل لها فنظرت إليها الجدة في دهشة ثم قالت :

- إصعدي يا حبيبتي إلى حجرتك ونامي . إنك متعبة .

وفجأة تنبهت عهد إلى نفسها وقبلت جدتها واتجهت إلى غرفتها وهي في سعادة تامة ، ثم ألقت بجسدها على السرير في استرخاء ، وصورة علاء ما زالت ماثلة أمام عينيها حتى استسلمت للنوم .

استيقظت عهد من نومها في الصباح الباكر وأسرعت ترتدي ملابس المدرسة ، ثم صففت شعرها وذهبت لتتناول طعام الافطار مع جدتها التي كانت في انتظارها ، وقبلتها وخرجت إلى الحديقة فلمحت علاء واقفاً بالقرب من باب الحديقة فاقتربت منه وتبادلا تحية الصباح ثم قال لها علاء :

- سأسافر يا عهد مع والدي وعمتي إلى الاسكندرية حتى تنقضي عطلة الصيف ، وأرجو أن أراك هناك .

- سأحاول أن اقنع جدتي بأن نذهب نحن أيضا .

ـ سأكون في غاية السعادة لو التقينا على شاطىء سيدي بشر .

ـ أتمنى ذلك ، والآن حان موعد ذهابي الى المدرسة والى اللقاء .

وشد على يدها مودعا ثم ركبت السيارة وسارت بها وأخذت تلوح بيدها حتى غاب عن نظرها .

ولما وصلت عهد الى المدرسة التقت بندى التي أخذت تلقي عليها عشرات الاسئلة المتعلقة بعلاء .

فبدأت تصف لها عهد ما تحس به من شعور نحو علاء ، وكيف يدفعها هذا الشعور الى التفكير فيه .

وبانقضاء هذا اليوم انقضى العام الدراسي لهذه السنة والقت ناظرة المدرسة كلمة في تلميذاتها متمنية لهن حياة سعيدة موفقة واجازة صيفية ممتعة .

ولما عادت عهد الى المنزل أخذت تقنع جدتها بالسفر الى الاسكندرية .

وافقت الجدة ، ثم بدأوا في تهيئة لوازم السفر وكادت عهد تطير من الفرحة لهذه الموافقة التي اتاحت لها فرصة مقابلة علاء .

وانطلقت بهم السيارة وكانت عهد شاردة الفكر وفي شوق ولهفة للقاء علاء . ولم يتحول نظرها عن منظر الشمس وهي تغيب

في خدرها بمنظرها الخلاب ، والشفق الاحمر سلط أشعته الذهبية على سطح الرمال الواسعة ، فبعث هذا المنظر في نفس عهد الاطمئنان والسكينة والسعادة .

وحين وصلوا الى باب الفيلا وجدت عهد والدها في انتظارهم ، فاندفعت نحوه واحتضنته بشوق وحنان ثم نظرت الى جدتها في فرحة شديدة وقالت :

– هل كنت تعلمين أن ابي سيكون في انتظارنا ؟

فضحكت الجدة ثم قالت :

– هي مفاجأة لك يا حبيبتي .

ثم وقفت عهد بين جدتها وأبيها وسار الجميع حتى دخلوا المنزل ، وأخذ أبوها يقدم لها الهدايا التي أحضرها معه من اوروبا وهي تتلقاها فرحة شاكرة .

وجلس ثلاثتهم في سعادة ، وبدأ الاب يسأل عهدا عن أحوالها وعن دراستها فأخذت تقص عليه أخبار مدرستها وما وصلت اليه في المواد من معرفة . وكان يخيل اليه وهي تحدثه كأنما سلوى زوجته الراحلة أمامه وأخذت صور الماضي الجميل تتراقص أمام عينيه ولكنه أفاق على صوتها وهي تقول :

– ما هذا التفكير العميق يا أبي ؟

– تفكير ... أي تفكير ... نعم يا حبيبتي اني افكر في تلك الأشهر التي مضت على فراقنا ، واليوم ، وبعد أن

اجتمعنا ، أرى أنك ترعرعت وأصبحت فتاة جميلة كالزهرة .

فشعرت عهد بفرحة تسري في جسدها لثناء الأب عليها وقالت :

كم أتمنى أن يأتي اليوم الذي أراك فيه تعيش معنا .

ـ هذا ما أرجوه أنا أيضاً . فلقد قرب موعد إحالتي إلى الاستيداع وحينئذ أكون معك دائماً .

فظهر البشر على وجه الجدة وقالت موجهة كلامها إلى الأب :

ـ إنها أمنيتي يا أحمد . فعهد أصبحت في حاجة إلى قربك منها ورعايتك لها .

فأجابها فوراً :

ـ أنت الخير والبركة . ربنا يطيل عمرك .

واسدل الليل ستاره وهم لا يشعرون بمرور الوقت ، وأخذت عهد تلاعب والدها الشطرنج لعبته المفضلة . وعندما بلغت الساعة الحادية عشرة مساء القت عهد تحية المساء على جدتها ووالدها وتمنت لهما نوماً هادئاً واتجهت إلى غرفتها وعقلها شارد في أشياء كثيرة . كانت تشعر بأن الدنيا مملوءة بالحب ... إنها تحب جدتها .. وتحب والدها وتحب ذلك الانسان الذي ظهر في افق حياتها وتحب كل شيء حولها . وبدون شعور أمسكت القلب الذهبي وأخذت تقبله ، وسرح فكرها في

علاء ثم تخيلته يوم أن حضر عيد ميلادها بكل كلمة من كلماته .. وبكل لفتة من لفتاته .. وبكل نظرة من نظراته .. بكل ساعة .. بكل دقيقة مرت عليهما إنه أصبح الآن سر سعادتها وسر التغيير الذي طرأ عليها .

وفي أصيل أحد الأيام وعندما كانت عهد متجهة ناحية كبينتها رأت امامها علاء صافحها بشوق ثم قال :

ـ كم كنت قلقاً خائفاً من عدم حضورك .

فنظرت إليه في استحياء ، وتلعثم لسانها في الكلام واحمرت وجنتاها ورفعت عينيها إليه فأسرع قائلاً :

ـ ارجو ان تكون السباحة هي رياضتك المفضلة .

ـ إني اجيدها من الصغر .

ـ إذاً سأراك غداً بعد العصر على الشاطىء .

ـ سأحضر في الرابعة والنصف .

وتعلقت عيناها بعينيه فترة وودعته ثم استدارت وسارت مبتعدة عنه . وسار علاء في خطوات مرتبكة وكل خلجة فيه تزغرد فرحاً . كان فرحاً إلى حد انه لا يدري ماذا يفعل بفرحته . إنه يريد ان يرقص .. يريد ان يغني .. يريد ان يعلن حبه إلى جميع من يقابله .

واتجه الى كابينة يجلس فيها أصدقاؤه بعضهم يتناقشون في أحاديث شتى والبعض الآخر يلعب النرد . وجلس علاء بينهم

هادىء الوجه وعيناه هائمتان ، فيهما حنان .. وفيهما نظرات جادة وليس فيهما شقاوة أصدقائه .

وطالت به الجلسة وشعر بالملل يسرى في عروقه ، وأقبل شريف من ناحية الشاطىء وهو يلهث من التعب مبلل الجسد . وصاح بعد ان وضع بين شفتيه ابتسامة عريضة :

ـ لقد كسبت الرهان من طارق . فليس من أحد يستطيع ان يتحداني في السباحة .

فضحك الجميع ضحكات صاخبة بينما قال أحدهم

ـ لماذا لا تجرب حظك مع علاء ؟

وارتسم على وجه شريف الارتباك وأحس بأن صوته لم يعد يخرج من بين شفتيه حين قال :

ـ علاء . لا مانع عندي ما رأيك يا علاء ؟

ونظر اليه علاء في حزم ثم ابتسم قائلا :

ـ انتم تعلمون أن شريف أحسن سباح على الشاطىء ، فكيف تطلبون مني هذه المجازفة ..

فبادل شريف علاء بنظرة شكر لمدحه اياه وهو يعلم في قرارة نفسه بأن علاء من أحسن السباحين في مدرسته ولكنه لم يرد أن يحرجه أمام زملائه ليرفع من شأنه .

فشعر شريف بأنه انتصر على الثلة بفضل شهادة علاء أمامهم .

قام علاء من جلسته والقى التحية على أصدقائه وظل سائرا يجري وراء خياله الى أن وصل الى المكان الذي اعتاد أن يجلس فيه ، واعتلى صخرة كبيرة وجلس عليها وجال ببصره فيما حوله يمتع نظره بجمال ذلك المكان الخلاب . صخرتان كبيرتان تناثرت حولهما صخور صغيرة في غير تناسق وقد انسابت المياه خلالها هادئة اللهم الا اذا اشتد الموج فيتكسر على الصخرتين الكبيرتين وترتد المياه بقوة فتصطدم بالصخور الصغيرة .

وسرح فكره في عهد .. انه حين رآها أحس بارتباك وشعر بدمائه تصعد على وجهه . انه فعلا شعور غريب . . انها ليست كالفتيات الاخريات التي تعرف عليهن بواسطة شريف ، فهي أجمل وأذكى منهن وأكثر تأدبا . ان كل شيء فيها متناسق جميل ، وابتسامتها التي تملأ وجهها وتزيده فتنة .. انها بديعة في كل شيء .

أخذ يتصور نفسه معها وهو في شوق الى موعد لقائها . وبدأ يعد لها مواضيع يحدثها فيها ، ويرتب كلماته وينسقها . مرت عليه الساعات وهو مستلم لافكاره . . وخيالاته . . الى أن اقتربت الشمس واختفت في البحر واحمرت السماء بلون الدم ، وترك هذا المنظر اثرا سيئا في نفسه لانه يمثل النهاية . . نهاية أي شيء . . فقام من مكانه مسرعا وقد اتجه الى بيته .

٤

قام من نومه في الساعة الثالثة مساء ولم يبق على ميعاد عهد سوى ساعة ونصف فأخذ يعد نفسه للقائها .

ونزل من البيت بعد أن ألقى التحية على عمته وأخذ منها مفتاح الكابينة . وحين وصل اليها اختلس نظرة الى ساعته فوجدها الثالثة والنصف فأخذ يدور داخل الكبين ثم امسك بكتاب وأخذ يقرأ فيه قطعا للوقت ، ولكن لم يعلق بذهنه كلمة منه . وأحس بقطرات من العرق تنزلق على جسده فهب واقفا ثم ارتدى المايوه ونظر الى ساعته فوجدها قد قاربت الرابعة والنصف وشعر بقلبه ينبض بشدة . ومرت فترة طويلة ولم تأت عهد فبدت على وجهه علامات الضيق . وظل واقفا بجانب الكابين وهو يشعر بثورة في داخله . . انها لم تحضر . فأخذ ينظر حوله وامامه ساخطا على نفسه لانه صدقها ، واخذ يتلفت حوله باحثا عنها في كل ناحية ، ويخيل اليه أن كل فتاة يقع عليها

نظره هي عهد . وفجأة التقت عيناه بها وهي قادمة من بعيد تنظر إليه وتبتسم في دلال . وارتبك في وقفته ومد لها يدا حائرة وسمعها تقول :

ـ آسفة لاني تأخرت عليك . لقد كنت في انتظار ندى .

فقال لها في ارتباك :

ـ لا ... أبدا .

فأخذت تنظر الى وجهه وابتسامتها الحلوة بين شفتيها .

وتلفت حوله وقال وهو يشير لها ناحية الصخور :

ـ سأنتظرك هناك لكي تستعدي لنزول البحر .

فقالت :

ـ لن أتأخر عليك .

ثم أسرعت في خطاها الى الكابين وقالت لها ندى في خبث ظاهر :

ـ لماذا كل هذه العجلة ؟

فضحكت عهد ولم تجب . ثم دخلت الى غرفة الكابين فخلعت ثيابها وارتدت المايوه الابيض ووقفت أمام المرآة تصلح من شعرها وأمسكت القبعة الجلدية بيدها ..

وقالت لها ندى وهي تنظر اليها والابتسامة على ثغرها :

ـ اني لا اجيد العوم ولذلك ستكونين بمفردك .

فضحكت عهد وهي تعلم ما تقصده صديقتها .

وقالت :

– لن أغيب يا ندى فانتظريني .

وتركتها واتجهت ناحية الصخور واتسعت أحلامها. إنها لم تكن تعتقد أن الأحلام يمكن أن تتحقق بهذه السرعة . كانت تخاف أن يراها أحد ، وكانت تريد أن تؤجل موعدها معه ولو بضع دقائق اخرى ريثما تستجمع شجاعتها .

وحين رأته شعرت بقلبها يدق فاقتربت منه . ثم قادها إلى منحنيات الصخور في ظل صخرة اعتاد أن يجلس في ظلها بحيث لا يراهما أحد وصوت الموج يرتطم بالصخور . وشعرا بالراحة والطمأنينة والسكينة ، وكان كلاهما يرنو ببصره إلى الافق الممتد البعيد يحاول أن يستشف ما وراء الضفة الاخرى للبحر أو ما تخبئه لهما الأقدار .

قالت عهد وفي نبرات صوتها حنان :

– هذا أجمل مكان رأيته في حياتي !

ورد عليها علاء مؤيداً كلامها :

– فعلاً ... إنه مكاني المفضل . أجلس فيه دائماً وأرسم مستقبلي .

– وهل رسمته ؟

– نعم .

– إذن حدثني عنه .

ـ اريد يا عهد أن أدرس الأدب بمعناه العام قبل الخاص . ثم أشتغل بالصحافة ، اعالج عيوب المجتمع بالنقد والتوجيه ، واتناول مشكلاته بالحل والارشاد ، واساهم في وضع لبنة في صرح مجد بلادى وتقدمها .

فقالت عهد في لهفة :

ـ هذا مستقبل زاهر وتفكير سديد ، وارجو ان يحقق لك الله ما تصبو إليه .

ـ شكراً لك يا عهد .

وتطرق الحديث بينهما اموراً شتى وموضوعات كثيرة . تكلما في كل شيء وعن كل شيء . تسأله حيناً وتجيبه احياناً . وكانت تتبع كل كلمة يقولها . واحست بأنها اكتشفت فيه اشياء كثيرة لم تعرفها من قبل . ان حياته فيها هدف وامل لمستقبل عظيم .

واخذت ترى وجهه القوي الوسيم يتكلم في حزم وعزم وقوة، ثم رأت نظرته المهذبة التي تتسلل إلى قلبها . واستمر الحديث بينهما ... حديث طويل .

وحكى لها علاء كيف قضى اياماً حزيناً حين كان في العاشرة من عمره . ماتت امه التي كانت لا يغمض لها جفن إلا إذا احتوته بين ذراعيها كل ليلة ، وقصت عليه إحدى قصصها الشيقة بصوتها الناعم الحنون . ولكنه فقدها فجأة . لقد

قالت له الدادة انها ذهبت الى ربها ، فظل يبكي كل ليلة ويبحث عنها في غرفات البيت ، فاذا اعياه البحث جلس وحيدا يبكي بعيدا عن الاعين ، وينادي ويستحلفها بحياته الغالية لديها أن تعود اليه .

مرت السنوات ولم تعد امه ، وعوضه الله حنانها بحنان عمته التي افلحت بسياستها وهداياها ونزهاتها له في ملء ذلك الفراغ الهائل الذي تركته امه في قلبه . وكان أبوه لا يتركه ، ودائما يلبي طلباته ، فكانت هذه العوامل متضامنة في تخفيف ما نزل به من فجيعة مني بها في امه .

وهامت عهد في حديثه وأخذت تستمع له .

كانت تريد أن تعرفه أكثر . . . تعرف كل شيء عنه . . . كل التفاصيل . . . وشعرت بأنه قريب في فقد الاحبة الغوالي .

وفجأة رفعت رأسها وقالت في ذعر :

ـ لقد تأخرت جدا يا علاء ، وسأراك غدا في الصباح .

ونزلا الى الماء وسبحا وافترقا قبل أن يصلا الى الشاطىء ، فقد كانا في حبهما أبعد ما يكونان عن الطيش والانزلاق . كان كل منهما أكبر وأعقل من سنه ، وكانا في تفكيرهما جادين كل الجد ، سامين كل السمو .

وأحست الجدة بما اعترى عهدا من فرحة وبما ارتسم على وجهها

من علامات السعادة والهناء .

فسألتها عما بها فأجابت بأنها سعيدة بهذا المصيف وبوجود والدها معها .

وجلست تتظاهر بتناول الغداء ، ومرت بذهنها صور كثيرة : كيف كانا جالسين على الصخر ... وكيف كانا في الماء يسبحان ويتبادلان النكات ويداعبان أمواج البحر في لهو ومرح ما سبق لها أن ظفرت بمثلها . لقد كانت ترى في عينيه الحب والحنان البريئين طافرين من مقلتيه .

كانت ترى فيها عمقا وسحرا غامضين .

لن تنسى هاتين العينين ... فما أجمل أول حب وما أطهر حب الروح ... لقد أحبت روحه البريئة الطاهرة ... فما أروع الحب في قلوب العذارى .

وتركت المائدة الى الشرفة وهي في تفكير عميق .. وأخذت أصابعها الرقيقة تعصر منديلها الصغير وهي تغدو في الشرفة جيئة وذهوبا كأنها مجداف يشق الامواج . والجدة تراقبها بطرف خفي ثم ابتسمت ومرت على وجهها سحابة كأنها تقول لنفسها :

ـ سعادتها الراهنة تسر قلبي . ولكن هل يكون مستقبلها سعيدا كحاضرها ..

نامت عهـــد تلك الليلة وعلاء يـــلأ عينيها .. تغفو تارة

وتصحو اخرى .. تحاول ان تجلب النوم ولكنه يفر منها . ان تفكيرها في علاء ملك عليها حواسها وحاصرها في كل مكان .

قامت من فراشها في السادسة صباحاً والفرحة يقظى على وجنتيها . وكانت الشمس دافئة لم تشتد بعد ، فبدت الطبيعة في اجمل حللها متعة للعين ، واخذ صوت النسيم يرتل على مسامعها لحنه الهادىء الجميل .. كانت سعيدة .. إنها تغني .. إنها تقفز بين غرف البيت ، كأنها الفراشة ترقص حول هالة من نور ..

وذهبت الى الشاطىء في ثوبها الأخضر المطرز الجميل الذي زادها فتنة ورشاقة . واخذت العيون تتبعها والقلوب تتمناها والشفاه كلها تهمس حولها ولكنها كانت تعيش في عالم آخر لا تشعر بما حولها ولا تهتم بما تسمع .

وفي العاشرة نزلت البحر وسبحت طويلًا إلى ان وصلت الصخور . وصعدت إلى الصخرة التي شاهدت اللقاء الأول .. لقاء حبهما . سارت فوق البروز الصخرية الحادة كأنها أسنة رماح فتألمت لما اصاب قدميها ، ولكنها شعرت به يمسك بيدها فأحست بأن شيئاً في داخلها يرتجف حياء . فابتسمت له وسمعته يقول :

— إنه اصعب طريق ذلك الذي جئت منه .

فالتفتت إليه وعلى ثغرها ابتسامة :

ـ دائما يكون أول الطريق صعبا .

فضغط على يدها ونظر اليها في حنان وشوق ..

لقد جاء حبها طبيعيا كتفتح الزهر .. كشروق الشمس . كطلوع الربيع . لا تصنع فيه .

قال لها وهو يرفع وجهه اليها :

ـ ترى هل أنت سعيدة ؟

فقالت له وفي صوتها ما يشير الى ارتباكها :

ـ اني سعيدة بالقرب منك .

ونظرت اليه وهي تشعر بالسعادة تسري في كيانها وأخذ قلبها يدق في عنف . ووجهها يكسوه الاحمرار فيزيدها فتنة واغراء .

ومضت فترة صمت ...

كان علاء يسترق النظر الى وجهها الجميل وقد أحس في قرارة نفسه بالراحة . وبدت له الفرصة سانحة لان يقول أشياء طالما حدث نفسه بها . وهم بضع مرات أن يتكلم ولكنه لم يعرف من أين يبدأ .

وقال لها :

ـ الجو شديد اليوم ؟

قالت : فعلا .

قال : لننزل البحر ان شئت .

أخذا يسبحان خلف الصخور وتشابكت يداهما تحت الماء ، وأحس كل منهما أنه احب صاحبه في صدق واخلاص وعمق .

قال لها علاء في حنان :

ـ غدا سآخذك الى أروع مكان رأيته . انـــه تلال من الرمال .

قالت :

ـ أين هذا المكان ؟

ـ انه بجانب الرأس السوداء .

ـ وهل هذا المكان بعيد ؟

ـ كلا .

وفكرت قليلا ثم قالت :

ـ لن أستطيع الحضور في صباح الغد لانني سوف أذهب مع جدتي لشراء بعض الحاجيات :

فنظر اليها قائلا :

ـ اذن سأنتظرك في الخامسة مساء .

في تلك الليلة قضت عهد وقتها في قراءة بعض المجلات ووالدها يحدث جدتها وهي تسترق السمع لما يدور بينهما من حـــوار . فسمعت والدها يقول :

ـ غدا سيحضر من ألمانيا الدكتور عادل على البـــاخرة اوزونيا .

فردت عليه الجدة في استغراب :

ـ من هو الدكتور عادل ياأحمد ؟

ـ ابن عمي حسن .

ـ تذكرته . ما شاء الله ، لقد أصبح طبيبا !

فوضعت عبد المجلة على ركبتيها وأخذت تتابع حديث والدها عن عادل وتسأل نفسها ...

عادل . . . صديق طفولتها . . . نعم هو . . . تذكرته . لقد كان يأتي كل يوم جمعة في صحبة امه ليقضي اليوم معها في اللعب . كان طيب القلب يهبها لعبته الجديدة ويحضر لها « الشيكولاته » ويحكي قصصا لطيفة عن القطة والفأر . انها لم تره منذ تلك الفترة لان والده انتقل الى سوريا من اجل عمله . فقطع عليها والدها حبل تفكيرها حين قال :

ـ أتذكرين عادل يا عهد ؟

ـ نعم يا ابي .

ـ انه الآن أصبح دكتورا في الانف والاذن .

قالت الجدة :

ـ وهل سيقيم في مصر ؟

ـ لا أدري .

قالت الجدة :

ـ سننزله ضيفا علينا هنا .

ـ أمرك يا نينه . سأذهب غداً لاستقباله .

فنظرت الجدة إلى عهد قائلة :

ـ سنؤجل نزولنا البلد إلى ما بعد العصر .

ولكن عهداً لم تجبها وأحست ببرودة تسري في دمها وبقلبها يهوي بين ضلوعها. إن مجيء عادل سيجعلها تبقى في البيت لاستقباله والخروج مع جدتها بعد العصر .. ولكن موعدها مع علاء، كيف تستطيع أن تتخلف عنه. لا بد أن تجد حلاً لكي تخرج في الخامسة. نظرت إلى جدتها مصطنعة الحزن وقالت :

ـ غداً في الخامسة سأذهب مع ندى لكي نعزي قريبتها .

والتفتت إليها جدتها في دهشة :

ـ لم أسمع قط عن قريبة ندى هذه ..

ـ نادية بنت عمها .

ـ ما الذي مات عندهم ؟

ـ خالها يا جدتي .

ثم قفزت من مكانها وخرجت من الغرفة ..

لم يكن هناك طريقة لكي تفي بوعدها غير أن تكذب على جدتها .... تخترع لها أي شيء ولا تدري لماذا كذبت ولماذا اخترعت ... ان جدتها لم تكن تعارضها حين تريد أن تذهب إلى

أي مكان ... إنها تثق بها وتترك لها حرية التصرف . وشعرت عهد بضيق لأنها كذبت وتمنت لو امتدت إليها يد واختطفتها وغاصت بها في قاع البحر . ولكنها كانت في شوق إلى ذلك الغـــد الذي ستلتقي فيه مع الحب .

٥

مرت الساعات على عهد وهي غارقة في أحلامهـــا . ثم ألقت بجسدها على الفراش . ومر خيـال علاء أمام عينيها فأخـــذت الابتسامة تأخذ مكانها على شفتيها ونور يضيء عينيهـــا .. ثم استسلمت للنوم . وفي منتصف الليـــل وهي تغط في نومها إذا بها تتحرك على الفراش في عصبية وتدفع بيديهـا ورجليهـا الغطاء عن جسدها ، وراحت تهمهم بكلمات غير واضحة ، ثم انطلقت من فمها صرخة مكتومة واستيقظت بعدها مذعورة وقفزت جالسة في سريرها تفرك عينيها وتتطلع فيما حولها في ذهول . واسترخت مرة اخرى ووضعت رأسها على الوسادة ولكنها لم يغمض لها جفن . كانت تحدق النظر في الظلام وتبحث عن لا شيء .

وبدأت تحس بدوار يملأ رأسها وبظلام يغشى عينيها فقالت لنفسها :

– يا له من كابوس ... مخيف ...

واستسلمت بعد ذلك مرهقة متعبة حتى استغرقت في النوم .

وفي الصباح استيقظت عهد متأخرة وكل همها وفكرها في ذلك الكابوس الذي حدث لها أثناء نومها : لقد رأت وهي نائمة . أنها وعلاء يقفان على صخرة لقائهما . وفجأة انشقت الصخرة قسمين وفرقت بينهما وأحدثت صوتاً عالياً . ورأت عهد علاء يهوي في مكان سحيق وهي تصيح وقد جمدت على حافة الصخرة لا تستطيع حراكاً .

أخذت تصرخ بصوت عال وجسدها يرتعد وينتفض وتعجبت لما رأته في منامها وبدأ القلق يزحف إلى نفسها ، وأسرعت إلى الحمام وتركت المياه تتدفق من الصنبور على رأسها مدة طويلة لكي تستعيد هدوءها ثم خرجت من الحمام وهي رائعة كما كان شأنها دائماً .

الشعر الطويل ينسدل على كتفيها وكأنه يحتضنها في اعتزاز ، وخصلات منه تتموج على وجنتيها ، وعيناها الجميلتان تزدادان سحراً ، ولكن قلقاً خفياً يطل من بين اجفانها .

دخلت عليها جدتها تخبرها بقدوم الدكتور عادل ثم قالت لهـــا :

– ليس من عادتك أن تتأخري في النوم يا عهد .

– إنني لم أنم ليلة أمس .
قالت الجدة في فزع .
– خيراً يا حبيبتي . ماذا بك ؟
– لا شيء .. لا شيء .. ولكن الارق لازمني ..
– إذن يا عزيزتي ارتدي ثيابك وتعالي سلمي على الدكتور عادل .

ووقفت عهد لترتدي الثوب الذي اختارته من بين ثيابها .
والقت على نفسها نظرة في المرآة وخرجت من غرفتها إلى الصالون . ورأته جالساً مع والدها منهمكاً في حديثه فألقت عليهما التحية فالتفت إليها ونهض واقفاً فالتقت عيونهما وابتسم ابتسامة واسعة قابلتها بابتسامة بخيلة .

قال والدها وهو يقدمه إليها :
– عادل .. الدكتور عادل ..
ثم نظر إليه قائلاً ابنتي عهد .
ورفع الدكتور عادل بصره إليها وقال في صوت وقور :
– أهلاً آنسة عهد ..
أهلاً وسهلاً بك

وهمت بأن تجلس فالتقت عيناها به وكان لا يزال واقفاً تحية لها وابتسامته الواسعة تطل من شفتيه . لقد وجدته غير الصورة التي رسمتها في خيالها . إنه الآن شاب مهذب ،

مكتمل الرجولة ، أبيض ، متوسط الطول ، شعره كستنائي اللون وعيناه عسليتان ذات بريق حاد . فلم تجـــد ما تقوله ولكنه فاجأها بلهجة مهذبة :

ـ أنت تغيرت جدا يا آنسة عهد !

ـ وأنت كذلك .

ـ لقد أصبحت جميلة جدا .

ـ شكرا لك .

وأحست بأن صوتها لم يخرج من بين شفتيها مرحا كما أرادت . ونهضت وأخذت علبة الشيكولاته وقدمت له قائلة :

ـ تفضل يا دكتور عادل .

فأخذ قطعة منها وقال لها وفي صوته رنة مرح :

ـ أما زلت تحبين الشيكولاته ؟ . .

فقاطعته الجدة قائلة :

ـ انها تحب الشيكولاته كالأطفال .

ونظروا الى بعضهم بعضا وضحكوا .

وجاء موعد الغداء وأخذ كل منهم مكانه على المائدة .

وفي اثناء الاكل اخذ الدكتور عـــادل يقص عليهم اخبار رحلته . واعجبتها طريقة حديثه وبراعة اسلوبه ومر بهم الوقت دون اي ملل .

وعندما دقت الساعة الرابعة والنصف وضعت عهـــد منديلا

ابيض اللون على رأسها وتسللت خارج المنزل وأسرعت في خطواتها الى لقاء علاء .

وفي المكان المعتاد على الصخور وقف علاء ماسكا يدها مصافحا بطريقة حارة ..

ثم سارا الى أن وصلا الى الشارع فأوقف علاء سيارة اجرة اوصلتهم الى المكان الذي أشار به الى السائق .

كان المكان بديع المنظر .. تلال من الرمال تخلب اللب ، وكانت الشمس تميل الى الغروب . وأخذت حرارتها تهدأ وهب النسيم رطبا ندبا بلل البحر أذياله .

فشهقت عهد وهي ترمق هذا المكان الجميل في فرحة :

ـ يا له من مكان رائع .

ـ هذا من اكتشافي .

ـ انك لفنان . وكم أود أن يكون لي بيت فوق هـذه الرمال .

ـ لتسكني فيه وحدك ؟

ـ لا ..

ـ اذن سنسكن معا ؟

فضحكت عهد وفرت من أمامه وأخذت تجري على الرمال الممتدة وهو يجري خلفها . وأخذا يضحكان في سعـادة ... ضحكا من كل قلبيهما ... ضحكا كما لم يضحكان من قبل أبدا .

ضحكات الطفولة . . ضحكات الصبا . . ضحكات الشباب .

وجلسا على الرمال يتحدثان فتذكرت عهد ذلك الكابوس الذي ازعجها اثناء نومها فأخذت ترويه لعلاء وهو يصغي لها في اهتمام وتعجب . وقال لها بصوت يفيض بالعاطفة كأنه يحميها من ذلك الرعب الرهيب :

ـ هدئي من روعك . . لن نفترق أبدا !

فأشرق وجهها وسعدت نفسها لسماع كلماته وقالت :

ـ ما أسعدني عندما اسمع كلامك هذا .

فرد عليها وهو ينظر الى عينيها :

ـ كل يوم يا عهد عند الغروب الساعة ٧ ، حينما لا تكونين معي اذكرك ، ويخيل الي ان دقات قلبي تنبض هاتفة باسمك .

ـ ستجدني دائماً ألبي هذا النداء .

وأخذ علاء يناجيها بعبارات الحب ويحدثها بأعذب الكلام والطف الحديث . ومر عليها الوقت دون أن يشعرا بمروره .

وسكت علاء فجأة وكأنه شعر بأنه تحدث كثيرا . انه لم يتحدث كل هذا الحديث مع أحد غيرها .

وفتح عينيه متسائلا :

ـ لقد تكلمت كثيرا اليوم .

فردت عليه قائلة :

ـ أريد أن اقضي عمري هكذا اصغي اليك وانت تتكلم .

واستطرد قائلاً وهو يبتسم :

ـ سوف تشعرين بالملل من كثرة كلامي .

ـ علاه ...

ووضع يده على فمها لكي لا يجعلها تكمل ما ستقوله . لانه احس من نظراتها كأنها تعاتبه وتقول له :

ـ ألا تعلم انني وصلت في عواطفي الى القمة ، فكيف أملُّ حديثك ومن الاستماع اليك ...

وشعر بأنه يحبها حبا جارفا .

وتعودا اللقاء ...

ومرت الايام جميلة سعيدة . كانا على الصخور يلتقيان وعلى الرمال يمرحان وفي البحر يتناجيان .

وعند الساعة السابعة يهتف كلاهما باسم حبيبته، لقد تفتح قلباهما بأعنف حب فكان كل شيء يبدو جميلاً لهما حينما يكونان معا يعيش كل منهما ليومه وحبه .

٦

تسلل الخريف وبدت طلائعه واضحة على الاغصان . وملك الاشجار هرم الخريف وقد تركها وأغصانها عارية تتراقص من رياح الشتاء العاتية فتتوارى الطيور في وكناتها ، وتسقط أعشاش العصافير بفراخها لتكون طعاماً سائغاً القطط .

جلست عهد وجدتها أمام المدفأة وقد بدا على عهد التفكير العميق وخيمت الكآبة على وجهها ، ونظرت اليها الجدة بعد أن طال صمتها وقالت :

ـ منذ رجوعك من الاسكندرية وأنت شاردة الفكر ، فماذا بك ؟

قالت عهد وقد انتبهت من غفلتها :

ـ انني أرى كل ليلة احلاماً مزعجة تقلق راحتي وتقلل من نومي .

واحتبس صوتها وتلاشى ...

وحاولت ان تبلع ريقها . انها لا تستطيع أن تبوح لجدتها عما تراه في منامها . وحاولت أن تخفي مشاعرها ..

فقالت لها جدتها وفي نظراتها قلق وفزع :

ـ لا بأس عليك .. انها اضغاث أحلام .

وردت عهد في صوت هامس خافت :

ـ أرجو ذلك ، وان كنت أرى الخوف يتسرب الى نفسي .

وحاولت أن تبتسم حتى لا تشغل بال جدتها ولكنها لم تستطع ووجمت والقت برأسها على صدر جدتها وبصرها الى الارض وقد جمدت عيناها في محجريها وتلاشت أنفاسها .

فانسحبت من مجلسها وذهبت الى غرفتها واذنها تراقب الهاتف . وكانت تنتظر أن يكلمها علاء ، وكانت تتمنى أن يكلمها .

انها في حاجة اليه .. في حاجة الى سماع صوته .

وظلت واقفة تنظر من النافذة ومضت فترة طويلة لا تتحرك كأنها في انتظار القدر .

وحين دقت الساعة معلنة السابعة مساء سمعت جرس التليفون فانتفض قلبها انتفاض العصفور بلله القطر ، وأسرعت ترفع السماعة وقالت في لهفة :

ـ آلو .. آلو ..

وسمعت صوته في هدوئه المعهود :

ـ عهد ... كيف حالك وحشتيني .

ـ علاء ...

وعز عليها الكلام فسادت فترة صمت قطعها علاء بقوله :

ـ لم أرك اليوم في الشرفة ؟. يبدو أن المطر قد حجبك عني ؟.

ـ أبداً يا علاء .. لقد كنت جالسة مع جدتي طول الوقت .

وانساب صوته في حنان :

ـ لقد انشغلت عليك ..

قالت :

ـ كيف قضيت يومك ؟.

ـ كنت افكر في عهد وفي مستقبلنا .

ـ المستقبل شيء يصنعه القدر .

ـ بل نصنعه نحن اذا أردنا .

ـ وكيف تريد أن تصنع مستقبلك .

ولم تمض دقائق حتى وجدا نفسيهما مستغرقين في حديث لا نهاية له .. وقد خيل اليهما أنهما أصبحا وكأن الكون لا يوجد فيه سواهما .

ألقى عليها تحية المساء وظلت هي ممسكة بسماعة التليفون حتى سمعت صوت سماعة علاء وهي تعاد الى مكانها .

اتجهت عهد الى غرفتها وبدأت تتخلص من القلق الذي كان يتسلط عليها . ومرت الاشهر تعقب الاشهر وحياتهما موزعة بين اللقاء أو التفكير فيه ، أو المحادثة في المسرة . وأصبح حبهما ينمو

يوماً بعد يوم وشهراً بعد آخر .

وجاء موعد الامتحانات فانهمك علاء بكل احساسه في استذكار دروسه مدفوعاً لتحقيق أمل غال يشجعه في ذلك سعادته القلبية التي خلقت فيه حيوية وسعت نطاق حياته . كان يهمه ان ينجح حتى يلتحق بكلية الآداب ويكون مستقبله من اجل ان يحقق امله بالزواج من عهد . كان يضع خطة مرسومة للمستقبل بعد انتهائه من كلية الآداب حيث يعمل بالصحافة ، ثم يتقدم لخطبة عهد وبعد ذلك يتزوجها ويعيشان في « فيلا » صغيرة بالاسكندرية تقع وسط الرمال التي كانا يرحان عليها .

كانت خطة واضحة في ذهنه مؤكدة التحقيق .

لقد اتفق مع القدر بأن يكون له الى الابد .

انتهت فترة الامتحانات وخرج من المدرسة وبصحبته شريف . ومن فرط ما شرد ذهنه طوال الطريق في المستقبل اخذ يردد لنفسه ما سيعمله لاسعاد عهد ، وكم من هناء سيحققه لها حينما يجتمع الشمل .

وفجأة افاق الى نفسه حينما صرخ شريف في وجهه قائلاً :

ـ لقد مضى علي ساعة من الوقت وأنا احدثك وأنت لاتستمع الي ، ماذا بك ؟

فرد عليه في هرب من سؤاله ومزاح مفتعل :

ـ كلامك كثير يا شريف .

ضحك شريف ضحكة واسعة وقال في ثنايا ضحكته :

ـ أنت استاذ الهرب من الاجـــابة عن الاسئلة التي لا تروقك .

ولم يضحك علاء وانما اكتفى بابتسامة وقال :

ـ هيا بنا نذهب الى النادي .

وسارا متجهين الى النادي، ودخلا من الباب المؤدي الى الشرفة المطلة على ملعب التنس .

وقال علاء :

ـ هل أنت مستعد للعب ؟

ـ نعم . بشرط أن نلعب على رهان ، والفائز يأخذ جنيها .

فرد عليه علاء بابتسام :

ـ واذا كسبت أنا ؟

ـ اسلمك الجنيه وعوضي على الله .

ولبس كل منهما ملابس الرياضة واتجه الى مـــكانه في ملعب التنس . وقبض علاء على مضربه وأخذ يرد الكرة الى شريف في قوة، وشريف يجري يميناً وشمالا يصد الكرة وثمة صديق آخر يقوم بدور الحكم . وكلما صاح الحكم مرددا نتيجة كل شوط يهتف شريف بعصبية ويقول :

ـ أين قوتك يا شريف ؟

وانتهت المباراة بفوز علاء واخذا يتضاحكان وكلها نشاط .
وجلسا في مطعم النادي وأحس شريف بالجوع . فقال :
ـ سأدعوك الى الغداء بالجنيه ونحتفل بوداع السنة النهائية لنا في المدرسة .

ـ لا مانع عندي ما دمنا سنأكل بالجنيه .
وقاما يتناولان الطعام بشراهة . وجرى الحديث بينهما في خفة ومرح . وأقبل الخادم يحمل الاطباق . وقبل أن ينصرف ، سأل شريف علاء :

ـ اتريد فنجانا من القهوة ؟
ـ ليس عندي اي مانع .
ـ وأنا ايضا .
اتجه شريف الى الساقي قائلا :
ـ اثنين قهوة من فضلك .
نظر علاء الى شريف قائلا :
ـ متى تقيد اسمك في كلية الحقوق ؟
ـ لن اذهب الى الحقوق .
ـ لقد كنت تريد ان تصبح محامياً ..
ـ أجل .
ـ ولماذا غيرت رأيك ؟
ـ لان والدي يلحان علي لكي التحق بالكلية الحربية ، فكل

يوم يقول لي والدي بلهجة قوية : لا بد يا شريف ان تلتحق بالكلية الحربية .... وفي كل وقت تقـــول لي والدتي : عطف امنيتي يا شريف أن اراك امير بحر مثل والدك .

فضحك علاء وقال :

ــ كان الله في عونك يا صديقي .

فاعتدل شريف في جلسته وارتشف من فنجانه وقال :

ــ ان رضاء الوالدين من رضا الله .

فاعجب علاء بكلام صديقه ورد عليه :

ــ في بعض الاحيان تبدو يا شريف فيلسوفاً كبيرا .

فأجابه بسخرية :

ــ من عاشر قوماً اربعين يوماً صار منهم ، فمـــا بالك بعشر سنين ؟ .

فتبادلا الابتسامة واستطرد شريف قائلًا :

ــ اتنوي السفر الى الاسكندرية ؟

ــ لست ادري حتى الآن .

ــ ومتى ستقرر سفرك ؟

ــ اني في انتظار عودة ابي من العزبة .

ومتى يعود ؟

ــ بعد يومين .

وقال له شريف :

ـ لقد كنا ننوي السفر الى الاسكندرية بعد يومين ولكن الرجل الكبير غير رأيه وتأخرنا اسبوعا .

وعاد الخادم يحمل اليها ورقة الحساب ،فأخذها شريف وقد اتجهت عيناه الى الارقام فاحمرت وجنتاه واخرج من جيبه جنيهين واعطاهما للخادم وعندئذ نظر علاء الى شريف ثم قال :

ـ لماذا تبدو مضطربا هكذا ... اليست هي فكرتك ؟

ـ نعم ... ولكن ..

فقاطعه مستطردا :

ـ ندعنا نضيع وقتنا في شيء حدث . قم بنا نشاهد المباراة الدولية للتنس .

ـ انها ستبدأ الآن امام بطلنا بدر الدين .

ثم اسرعا متجهين نحو الملعب الرئيسي الذي احتشد بالمتفرجين . وهناك التقيا بمجموعة من الاصدقاء فجلسوا جميعا يتحدثون ويتراهنون على نتيجة المباراة . وبعد فترة قصيرة دوى المكان بالتصفيق حيث ظهر اللاعبان يتبعهما الحكم .

بدا اللعب وساد المكان الهدوء ، وأخذ صوت الكرة يرن على أرض الملعب . وفجأة هتف المتفرجون وصفقوا لبدرالدين حينما قذف الكرة بعنف في عكس اتجاه مارلو .

واخيراً وبعد فترة حاسمة تغلب مارلو على بدر الدين .

وقال احد الشبان الواقفين بجانب علاء وشريف :

ـ لقد كان بدر الدين رائعاً !

فضحك شريف ثم قال :

ـ فعلاً . كانت مباراة ممتعة .

فرد عليه في حنق :

ـ بالطبع كانت ممتعة ، وخصوصاً بعد ان ربحت الجنيهين .

وفي الحال تبادل علاء وشريف النظرات وابتسما ثم اتجها الى الباب الخارجي وودع كل منهما الآخر وانصرفا .

٧

نجح علاء بتفوق وكاد قلبه يطير سروراً بنجاحه، ولكن لم يدم له ذلك الفرح بسبب صدمة اطاحت بصوابه وحطمت احلامه حينما اخبره والده بأن عليه ان يتأهب للسفر الى سويسرا لاستكمال دراسته . وعارض علاء في سفره ، ولكن والده المتفاني لضمان مستقبله ، أصر وصمم على أن يسافر ابنه . ورتب له جميع الاجراءات اللازمة للسفر ومصاريف اقامته ولم يبق على السفر غير شهر . واحس علاء اثر ذلك برعدة هزت كيانه فانتفض على اثرها كالمحموم وعافت نفسه الحياة .

دق جرس التليفون في بيت عهد فأسرعت ترد عليه ، وما ان رفعت السماعة حتى سمعت صوت علاء قائلاً :

ـ عهد ، لا بد ان اراك الآن !

ـ ماذا بك يا علاء ؟

ـ أريد أن أراك لامر هام ..

ـ سأقابلك حالاً ...

ووضعت السماعة وارتدت ثيابها بعجلة وهي غاية في الارتباك وحمدت الله على أن جدتها ليست في المنزل .

أسرعت في خطاها مرتبكة ثم اتجهت الى الشارع الخلفي ، وبعد لحظات التقيا ثم سارا حتى وجدا سيارة اجرة فدلفا فيها . ثم التفتت اليه عهد تسأله في لهفة وقلق :

ـ خيراً .. ماذا حدث ؟

وتردد قليلاً وقد بدا في عينيه الحزن وعلى نبرات صوته الألم :

ـ لقد صمم والدي على سفري الى الخارج لكي اتم دراستي .

فشهقت عهد وقالت في اضطراب :

ـ ستسافر ؟

ـ لقد بذلت جهدي أن اقنعه بأن ادرس هنا ولكنه أصر على سفري .

نظرت اليه وعيناها ملؤهمـــا الدموع والخوف من المستقبل . وقالت وكلها حسرة وألم :

ـ سافر يا علاء ، وسوف أرعى عهدك بقلبي . ولن أقف في في طريقك ومستقبلك أولا وقبل كل شيء .

وقفت العربة بجانب النيل ونزلا وأخذا يسيران على الشاطيء وكأن الدنيا أعلنت حزنها .. لحزنهما .

فليس أكثر حزنا من حبيبين سعيدين يفرق القدر بينهما ..

نظرت عبد الى النيل والدموع تنهمر وسبحت في خيالها وتصورت كيف يكون حالها بعد سفر علاء . وشعرت كأن يدا قوية تقبض على عنقها وتريد أن تسلبها الحياة .

ومد علاء يده الى يدها وقال لها :

ـ اريد أن أرى بريق السعادة والامل دائما في عينيك .

قالت وقد تبدج صوتها :

ـ سفرك هذا سوف يحدث فراغا كبيرا في حياتي .

ـ عبد ... لا أريد أن أرى الدموع في عينيك .

ـ لا أملك حبسها يا علاء .

وابتسم لها ابتسامة هادئة وقال :

ـ أريد أن أرى الابتسامة في عينيك .

وصمت قليلا ... ثم تنهدت وكأنها تستسلم للقدر ، وقالت وهي تنظر اليه :

متى تنوي السفر ؟

ـ بعد شهر .

ـ اذن لقد بقي من عمري ثلاثون يوما ..

ـ عبد ، حين أعود سنقضي أيام عمرنا سويا .

ـ اني أخاف من القدر .

ـ مستحيل ، لن يستطيع القدر أن يبعدنا بعد هذه المرة .

ـ أرجو ذلك .

وأسبلت عينيها صامتة ، ثم قـــال علاء محاولا أن يلطف الموقف :

ـ ان ذكريات ايامنا لن تمحى أبدا لأنها تعيش في أنفسنا .
ـ علاء ، استحلفك بأن تكتب لي دائما !
ـ سأكتب لك كل يوم في الساعة السابعة خطابا .
ـ سأعيش معك في خطاباتك .
ـ أنت في نفسي ، فان قلبي وديعة بين يديك .

وسكتت ... وطال سكوتها ... وقد بدا الحزن عميقا في عينيها . ثم قالت :

ـ سنسافر غدا الى الاسكندريه .
ـ سأتبعك هناك لكي نقضي هـــذه الايام في مـــكان لقائنا .

قالت وكأنها تواسيه :

ـ سأكون في انتظارك .

وكانت الساعة لم تتجاوز الثامنة مساء عندما وصلا بجـــانب بيتها ، ووقف يودعها ثم اختفت داخل الحديقة وصعـــدت الى حجرتها والقت بجسدها المتعب على الفراش في شبه غيبوبـــة لا تستطيع حصر أفكارهـــا وتركيزها . وأرادت البكاء فلم تستطع ، لقد جمدت مشاعرها فغـــدت غير قادرة على استدرار الدموع ، وشردت في تفكيرها . انها لا تستطيع أن تصدق أن

علاء سيغيب عنها . ولكنها أيضا لا تستطيع أن تقف سداً دون بناء مستقبله . وتصور لهـا ما تفاجئها بـه الايام ، وشعرت بأن القدر سيلعب دورا هامـاً في حياتها . ثم تذكرت ذلـك الكابوس الذي يراودها بين آن وآخر ، وانتابهـا القلق مرة اخرى على نفسها ، وكان هـذه المرة قلقاً ملحـا لا يعرف المدوه .

ولم ينقطع لقاؤهما يوماً واحدا مذ وصلا الى الاسكندرية ، حيث كان يضمها مكان لقائهما الاول الحبيب .

وكان ذلك اليوم ، حين أرسلت الشمس خيوطها الذهبيـة في صفحة الافق ، وألقى الاصيل على جسم الطبيعـة ثوبا ناعماً من أعطار النسيم ، واخذت الأمواج تلامس الصخر في رفـق وحنان وترسل نغما جميلاً . .

جلست عهد بجانب علاء وهي تمسكه بوردة حمراء جميلة المنظر بلل الندى أوراقها فقال لها علاء

ـ اذكريني دائماً بهذه الوردة الحمراء !

ـ انها وردة جميلة يا علاء ، ولكنها تبدو باكية . . فذكراك لا تمحى أبدا .

ـ عهد ، أنت حبي وأملي في الحياة . .

فأمسك بيدها وطبع قبلة على أناملها النحيـلة الرقيقة فقالت :

ـ يا ترى هل تعود الينا ايام السعادة ؟

ـ ستعود حينما أعود اليك بحبي واخلاصي وستضحك لنا الدنيا .

ومضت الايام وهما في حلم لذيذ الى أن حان وقت الوداع . فجلست قبالته صفراء ذابلة وقد تهدل شعرها على كتفيها في غير انتظام ، وربضت خصلات منه على جبينها في اهمال ، وقد اكتحلت عيناها بزيج من الحزن والأسى وجمدت مقلتاها في محجريها في دعة وذل ولم تتفوه بكلمة بل خيم الصمت على مجلسها .

قال علاء محاولا اخراج عهد من صمتها القاتل :

ـ لا اريد أن اراك حزينة هكذا يا عهد !..

ـ اني أتعذب يا علاء ..

ـ أتوسل اليك يا عهد أن تصبري .

ـ ان روحي معك تحرسك يا علاء .

ـ حافظي على نفسك يا عهد .

ورانت فترة طويلة من الصمت على الحبيبين الملتاعين قطعتها عهد قائلة :

ـ متى ترحل ؟

قال وقد اكفهر وجهه :

ـ غدا صباحاً .

وصمتت قليلا .. ثم تنهدت كأنها تستسلم مرة اخرى للقدر وقالت :

– فراقك صعب يا علاء .. انه يضعفني ويجعلني لا افكر في شيء الا فيك وفي بعدك وفي حياتك وانا بعيدة عنها .

– ان ما في قلبي لك من الحب لا يمحى أبدا ، فما أجمل وما أحلى سويعاته ..

وكان كل شيء حولهما يبكي لفراقهما ..

وفي الصباح الباكر ركب علاء الباخرة وقد اكتظت بالمسافرين ثم انتبحى جانبا وأخذ يلوح بيده لابيه وعمته . وأحزنه بكاء العمة الطيبة التي تفانت طيلة عمرها في تربيته فكم يصعب عليه فراقها . وشعر بضيق شديد . وفجأة لمعت عيناه حين رأى عهدا تقف بين المودعين . ودق قلبه وكاد يقفز من مكانه ، ولكنه شعر بالحواجز التي بينهما وعولا يستطيع أن ينزل من الباخرة لكي يودعها فأخذ يشير اليها بيده في شوق وهي تبادله الاشارات دون أن تعرف ما يقصده .

وما أسرع ساعات الوداع وما أصعبها على النفس والقلب ..

وأحس علاء بصدره يضيق وينقبض ، وبأعصابه تتخاذل وتنهار حين دوت صافرة الباخرة معلنة قرب الرحيل ..

وعجز علاء عن التحرك من مكانه وأخذ ينظر اليها في حزن

عميق ثم يراقب أباه وعمته .

وكان كل شيء حوله حزينا ولم يكن هناك صوت الا صفير الباخرة المتقطع وهي تتحرك . وحينئذ شعر بقلبـــه يغوص في رجليه .

أخذت الباخرة تبتعد عن المرفأ رويداً رويدا . وأطلت من عينيه نظرة صامتة وهو يلمح عهدا من بعد ثم غربت شمس اليوم فغربت معها كل أيام السعادة .

تحايا .. وتعاهدا .. وتفارقا ...

فوداعاً ...

يا أيام السعادة ... والهناء ...

وداعاً ..

الى غد قريب ..

٨

أقبل الليل بظلمته الحالكة وقد أوت الطيور الى وكناتها ، وبدأت النجوم تظهر رويدا رويدا، بزغ القمر ليرسل اشعته الفضية تبدد ظلام الليل المدلهم ووحشته .

وعهد على الشرفة تنظر الى الليل .. الى النجوم .. الى القمر.. وهي ساهمة شاردة . تنظر الى الطبيعة وكأن ما فيها قد شاركها يؤسها وحزنها الدفين . فالليل موحش والنجوم ذابلة والدموع لا تفارق مآقيها .

أحست بدوار يميل برأسها وبظلام يغشى عينيها ولم تعد تشعر بشيء . غابت الدنيا ودموع الذكريات لا تزال تملأ عينيها ، وعندما أفاقت وجدت نفسها على السرير وبجانبها جدتها تتطلع اليها بعينين ملأتهما الدموع . دموع فزع وخوف وقلق وحيرة .

قالت الجدة :

ـ حبيبتي . لقد مر عليك وقت طويل وأنت غائبة عن وعيك .

حاولت عهد أن تتكلم ولكنها شعرت بالضعف يسري بل مرى في أطرافها .

واستطردت الجدة قائلة :

ـ لقد احضر لك الدكتور عادل زميلا له وفحصك وقال انك ضعيفة جدا يا عهد ، ولا بد أن تتغذي حتى لا تصابي بمرض خبيث .

لم تجب عهد وعادت الجدة للحديث قائلة :

ـ سوف احضر لك كوبا من العصير .

وذهبت بعد ان ابتسمت لعهد ابتسامة عريضة .

جلست عهد في فراشها وراحت تتطلع فيما حولها وعادت دموعها تنحدر على خديها رغما عنها .

ودخلت الجدة وفي يدها كوب العصير وحاولت ارغامها على تناوله . وشعرت الجدة بأن عهدا لا تريد الكلام فتركتها لتستريح ثم خرجت من الغرفة وهي تدعو لها بالشفاء والصحة .

وأغمضت عهد عينيها واستسلمت لنوم عميق شعرت خلاله بأنها في مكان لقائهما على الصخر ، وان حبيب قلبها يقف بالقرب منها وينظر اليها بعين باسمة ، وتمتمت بصوت

هامس :

– علاء .... يا حبيبي !

فسمعت صوته يردد :

– عهد ، يا حبيبة العمر ..

وركع عند قدميها وأخذ يديها الصغيرتين بين يديـــه وراح يقبلها ودموعه تسيل بغزارة . ثم أخـــذت تداعب شعره وتترك أصابعها تنساب في خلاله وهي غير مصدقة أنها أمامه ..

– اني لا اصدق يا علاء بانك عدت لي .

– أنا هنا يا حبيبتي بالقرب منك .

– علاء ، كم اكره فراقك لي .

– لا تزعجي نفسك يا حيـــاتي ، واتركي كل شيء للوقت والزمن .

– اني أخشى الزمن .

– ولكننا سوف نكون سويا مدى الحياة .

– متى يا حبيبي .. أنا لا أستطيع أن أُصدق ..

فأخذها بين ذراعيه وراح يبلل وجهها بدموعه بينما هي تبكي في صمت .

وعادت تقول :

– علاء .. آه لو تعلم كم اقاسي لفراقك !

– لن يكون بيننا فراق يا عزيزتي .

وألقت برأسها الصغير على كتفه وغابت ... غابت مع الفرحة وسمعت اصواتاً موسيقية تعزف لهما لحنها المفضل . وفجأة أخـــذ يبتعد عنها وكأن شيئاً يجذبه الى الخلف . وأرادت أن تمسك بـه ولكن الصخرة انشقت قسمين وفرقت بينهما .

ورأت جسده يهوي في هوة سحيقة فأخذت تصرخ من قلب معذب :

– علاء ... علاء . لا تتركني وحيدة يا علاء !

ماذا حدث يا الهي .. ماذا حدث ..

وأخذت تبكي بصوت عال وأفاقت فشعرت بيدين رحيمتين تسندانها .

وراحت الجدة تهمس لها :

– ما الذي جرى له يا بنيتي ..

ولم ترد عليها عهد وانما أغمضت عينيها .

ومضى عليها وقت ليس بالقصير وهي لا تشعر بجدتها المسكينة وجلست الجدة بجانبها في صمت .. في حزن .. في ألم ..

الايام تمر كالسلحفاة في مشيها .

وعهد تشعر بحزن دفين . ان فراق علاء أدمى قلبها وأحدث فراغاً كبيراً في حياتها . كانت تذهب كل يوم الى مكان لقـــائها وتجلس على الصخرة وحيدة وتتذكره . وحين تدق الساعة السابعة تتجه عهد بقلبها وخواطرها الى علاء ، وتهتف باسمه وتناجيه بعبارات

الحب ، وتستعرض ماضيها القريب الجميل وذكرياتها وتفكر فيما عسى ان يخبئه لها المستقبل .

وخرجت في يوم للجلوس في الحديقة فاذا بها تلمح ساعي البريد متجهاً نحو الباب فأسرعت اليه وتسلمت منه خطاباً أبيض اللون . وما أن رأت الطوابع الاجنبية التي على الظرف حتى دق قلبها في عنف وأسرعت في خطاها الى غرفتها وجلست على سريرها وأخذت تقلب الظرف وفضته برفق وحنان .

وبرقت عيناها حين رأت خط علاء فأخذت تقرأ الخطاب :

« أيها الحبيب الوحيد ... سلاما من بعيد ... سلاماً من حبيب .. سلاماً من مشتاق لحياك .

اليوم أكتب لك بعدما كنت فيه من حزن لوداعك .. وكيف ودعتك ، ولماذا ودعتك . ووجدت نفسي مشتاقاً للقاء فأصبحت اليوم أتذكر أيامنا . أندب حظي على بعدك . وامسيت أتغنى بالماضي . وامني نفسك بالمستقبل . وتمر بنا الايام .. وتمر علينا الاوقات ... ونحن في أمان وأحلام وآمال وآلام . وفراق .

توقفت عن الكتابة في الباخرة ولكني أعود وأكتب لحبيبي .

وها قد وصلت المركز الذي سابقى فيه وأمارس دراستي ولاكتب لك ... ولاكتب لنفسي ... وللايام .

أيامي . الماضي منها والحاضر .. وما هي أماني نفسي في المستقبل .

كانت الرحلة شاقة ، ولكن حين وصلت وفقني الله ووجدت بيتاً تملكه عجوز فاستأجرت غرفة عندهـــا ، ورتبت نفسي في الجامعة . لقد كنت معي يا عهد في كل مكان ، بل كنت أنا مع قلبك الذي لا يفارقني أبداً .

عهد ... سأكافح للحصول على الشهادة ، وسيأتي اليوم الذي تكونين فيه شريكة حياتي ، ولا بد أن يأتي هذا اليوم الذي ابيع فيه لذراعي أن يكون ملكاً لرأسك الجميل وشعرك الكاحـــل الخلاب . افكر فيك وأشتاق لرؤياك وأتمنى دائماً قربك .

حبيبتي ، حبي لك لا يوصف . ان حبك في دمي وعقلي وروحي وفؤادي . أحبك ... والله يعلم مقدار حبي . سأعود يا عهد الى قربك لاتمتع بنظراتك واغذي روحي بقوة روحك . سأعود ، لأني اريد أن أعود .. لأراك وأجلس بجانبك وأتمتـــع بالحديث معك ، والقاك في مكاننا المعتادين ونجلس على ضفاف البحر لنسمع هدير الموج وخرير الماء . تناجيني واناجيك وتنظرين الي وأراك .. ويبتل جسمانا من ماء البحر وتمتد يدي الى يدك وكأننا نعيد صور الماضي .. وكأننا نلح على الامس ان يعود ، ولن نتركه يفلت منا ابداً .

حبيبتي .. تجدين عنواني على الظرف فاكتبي لي يا حبيبة القلب . أستودع عيونك وسأظل احبك يا من احب ... ،

علاء

شعرت عهد بالسعادة تغمرها بعدما قرأت الخطاب ، وهدأت نفسها الثائرة واستقرت مشاعرها الحائرة .

وأخذت عهد تميل الى الوحدة بعد رجوعها الى مصر ،وانطوت على المذاكرة وقراءة الكتب . وكانت الجدة تحاول أن تعرف السبب في حزن حفيدتها فأوصت الخاجة أمينة بمراقبتهاولكنها فشلتا في كشف النقاب عن سبب حزنها لحرصها على كتم سرحبها .

ومرت الشهور ورسائل علاء لا تنقطع .

وحينما تغرب شمس كل يوم تخرجعهد وتجلس في الشرفة ومعها خطابات علاء ، أثمن شيء في حياتها ، تقرأ الخطاب بعد الخطاب . فاذا ما انتهت من القراءة جمعت الخطابات وضمتها الى صدرها في رفق وحنان ثم تتساقط الدموع من عينيها وتهتف باسمه وتعيد الهتاف . وتصمت برهة وتتمالك فيها نفسها وتجفف دموعها وتشرد بفكرها .

ان الزمن الساخر يتحرك والحاضر سيجري في وهاده فيضحي ماضياً والمستقبل البعيد المجهول سيقبل فيضحي حاضراً . فكم تحب الماضي وتخشى الحاضر والمستقبل . انها تبكي الذكريات الماضية وتشعر بدموعها كالنار تسيل على خديها . أين ذلك الماضي الجميل ، وأين أيامه السعيدة ، حيث كانت تشعر بالسعادة في كيانها ، تملأ روحها سروراً .. وبهجة . ما أسعد حياة الماضي وما أقدسها ، فقد شهد الكون على حبها وعاشا في نشوة حالمة بعيداً عن الواقع!.

٩

مرضت الجدة مرضاً الزمها الفراش وأشرف على علاجهـــا الدكتور عادل يعاونه زميل له وقامت عهد بتمريضها خير قيام .

وبعد مضي عدة أيام تماثلت الجدة للشفاء . ولكنها رأت التعب والارهاق باديين على وجه حفيدتها فقالت وهي تحاول اخفاء دمعة انحدرت على خدها :

ـ يا ابنتي ، لقد ارهقت طيلة هذه الايام واكثرت من تعبك

ـ لا يا جدتي ليس هناك من تعب .

ـ يبدو عليك الاجهاد ، فلقد سهرت الليالي من أجلي .

ـ ان كل أملي هو أن تعود اليك صحتك .

ـ أشكرك يا عهد . إني أشعر بتحسن والحمد لله .

ـ إذن سأذهب غداً الى المدرسة وأنا مطمئنة عليك .

ونظرت الجدة الى وجه عهد في عطف وقالت :

ـ سوف أطلب من الدكتور عادل أن يفحصك . لقد هزل

جسمك .

– ولكني لا أشعر بأي مرض يا جدتي .

– اريد أن أطمئن عليك .

– لك ما تريدين .

قالت لها الجدة :

– لست أدري كيف اكافىء الدكتور عادل لما قدمه لي من رعاية وعناية .

– حقا يا جدتي . لقد عمل المستحيل لكي تتحسن صحتك .

– اني أصبحت يا ابنتي أعزه جدا ، فهو انسان ذو اخـــلاق حميدة وقلب طيب .

– فعلا .. فهو شاب ممتاز ودكتور ناجح .

فارتاحت الجدة حين رأت عهد توافقها على رأيها في الدكتور عادل وهي التي تتمنى أن يكون من نصيب حفيدتها لما لمسته فيه من الاخلاق الطيبة وحسن السيرة والاستقامة .

فقالت لعهد وفي قلبها فرحة تحاول اخفاءها :

– امنيتي أن أراك في بيت الزوجية قبل أن تقترب منيتي .

– اني لا افكر في الزواج ولا اريد أن أبتعد عنك .

يا عهد ، هذه امنية كل فتاة في مثل سنك .

– ليس هذا وقته يا جدتي .

ولاذت كلتاهما بالصمت العميق ، وساد المكان السكون بينما

أخذت أنغام شوبان تنبعث من البيـــك آب تبعث في النفس الراحة والاطمئنان . وتناولت كتابا تطالع فيه بينما جدتها مستلقية على فراشها بين النوم واليقظة .

سمعت عهد دقات على باب الغرفة . فقامت لترى من يكون فاذا بالدكتور عادل يقف أمامها . فقالت له بصوتها العذب :

ـ أهلا بالدكتور عادل .

فصافحها وأخذ يدها بيده واستمر هكذا لحظات وهو ينظر فى عينيها الصافيتين الحالمتين . ولكنها سحبت يدها في ارتبـــاك وهي تقول :

ـ تفضل ...

ـ هل الجدة العزيزة نائمة ؟

مشيا حتى دخلا الغرفة ..

فشعرت به الجدة وبادلته السلام . فقال لها وهو يمسك بيدها لكي يفحص نبضها :

ـ كيف حالك اليوم ؟

ـ بخير والحمد لله يا بني .

ـ الك في تحسن والحمد لله .

ـ هذا يرجع لفضل الله ولفضلك .

ـ الفضل يرجع الى الآنسة عهد التي كانت تسهر الليـــالي من أجلك .

– ربنا يحميها .. فليس عندي أغلى منها في الوجود .
وأخذ الدكتور عادل ينظر الى عهد في اعجاب وقال لها :

– يبدو عليك يا عهد التعب والارهاق .
فردت عليه الجدة في قلق :
– لقد لاحظت ذلك .. وأرجو منك أن تفحصها .
فقال في لهفة متجها بنظره الى عهد :

– أمرك يا جدتنا العزيزة .
ولكن عهد ردت عليه :
– أنا لا أشكو شيئا .
قالت الجدة في اصرار :
– اريد ان أطمئن على صحتك يا حبيبتي !
قال الدكتور عادل وهو يبتسم :

– لا داعي للفحص ... وانما سأكتب لك بعض المقويات .
وطلبت الجدة من عهد أن تأمر الخادم باحضار فنجان من القهوة للدكتور عادل . فخرجت عهد من الغرفة .
وشعر الدكتور عادل بأنها فرصة طيبة للانفراد بالجدة لكي يفاتحها بما نوى عليه . فتكلم عن نفسه وعن حالته المالية ومركزه الاجتماعي وعن عمله بالمستشفى .. والجدة سعيـــدة تصغي له في اهتمام . وفجأة قال لها في ارتباك :
– اريد أن افاتحك الآن بعد أن عرفت كل شيء عني وعن

حالتي ...

ثم سكت وهو لا يعرف كيف يبدأ . ونظرت اليه الجـــدة وكأنها تقرأ أفكاره وتعلم ما سيفاتحها من كلام .

ـ خيرا ... يا بني ؟

ـ سيكون لي الشرف العظيم لان أطلب منك يد الآنسة عهد .

فبدت الفرحة الشديدة على وجه الجـــدة وشعرت بالسعادة تغمرها . فقالت في حنان :

ـ أنت يا ابني شاب ممتاز . وأنا موافقـــة .. ولكن يجب أن تأخذ رأي عهد في الموضوع . . وأيضا لا بـــد أن أكتب لوالدها

ـ أشكرك من كل قلبي ، وسأكتب خطابا لعمي غدا .

وردت عليه الجدة في فرح ظاهر :

ـ سأحاول أن افاتح عهد بالموضوع الليلة .

ودخلت عهد بقوامها الممشوق وخلفها الخادم يحمل القهوة وقدمت القهوة للدكتور عادل ثم جلست .

ولم تلبث أن شعرت بالفرحة تعمر جدتهـــا ولمحت الابتسامة المشرقة على ثغرها .

فأحست عهد بأن حملاً ثقيلا قد انزاح من فوق صدرها .

لقد كانت تتمنى أن تعود الابتسامة الى جدتها بعد تلك الايام

القاسية التي مرت بها .

وبعد فترة من الوقت نهض الدكتور عادل وودع الجدة وصاحبته عهد الى الباب الخارجي فقال لها وهو لا يستطيع أن يخفي اعجابه بها :

ـ أنت جميلة يا عهد ، بل أكثر من جميلة .

وشعرت عهد بالخجل وهي تسمع هذه الكلمات فقالت بصوت خافت لا يخلو من اضطراب :

ـ أشكرك يا دكتور عادل .

ـ أرجوك .. عادل فقط ...

فنظرت عهد اليه في دهشة ! وحدثت نفسها ..

ترى ماذا يريد ؟ ..

عله يريد أن يتقرب الي ويرفع الكلفة بيننا .

وأصبح كلما رآها تغنى بجمالها ويثني على فتنتها على مسمع منها .

ولم تظهر الضيق والضجر من هذه المعاملة الجديدة من الدكتور .

ولكنها لا ترغب في التمادي بها .

وأخذ الدكتور عادل يتأملها وهي شاردة الفكر . ثم قال لها :

ـ يا عهد ، ان لي معك كلاما كثيرا .

– معي أنا ؟

وظهرت على وجهها امارات الدهشة .

– اني معجب بأخلاقك . ولكنك في غالب الاحيان حزينة .. يجب أن تبتسمي للدنيا فالدنيا كالمرآة ...

وان تنظري لها بنظار مشرق باسم ...

والحاضر جميل والمستقبل سيكون أجمل ان شاء الله .

– الحاضر نعيش فيه . أما المستقبل فـــلا نعرف من أمره شيئا .

– أراك متشائمة ..

فضحكت ضحكة لا تخلو من سخرية وقالت :

– أنا أخاف المستقبل .

– الانسان يستطيع أن يحدد اتجاهـــات مستقبله كيفما شاء .

– المستقبل شيء يديره القدر ويرسم خطوطه القضاء.

– نعم . نعم . المستقبل بيد الله ، ولكن علينـــا أن نسلك السبيل السوي والطريق المستقيم ونترك القدر يصنع ما كتبه الله علينا . وعلى رأي القائل :

على المرء أن يسعى : وليس عليه ادراك النجاح .

فانظري الى الدنيا بعين ملؤها الامل وابتعدي عن الهمـــوم تصبح الحياة جميلة .

فابتسمت عهد في دلال وقالت :

ـ سأحاول .

ـ سأحضر غدا حتى نتم الحديث .

ـ وهل لهذا الحديث بقية ؟

ـ ان ما قلناه ما هو الا مقدمة .

ونهض مودعاً ...

وشد على يدها في حنـــان وضغط على يدها في رفـــق وانصرف .

واتجهت الى غرفة جدتها وهي تفكر فيما قاله الدكتور . وما أن رأتها حتى قالت في فرحة :

ـ عهد اقتربي مني يا حبيبتي . اني أود أن أزف اليك اجمل خبر .

ـ ما هو يا ترى ؟

ـ ما هو رأيك في الدكتور عادل ؟

ـ لقد قلت لك رأيي من قبل .

ـ اذن أنت موافقة .

ـ على أي شيء ؟

ـ عادل طلب يدك مني اليوم .

ووقع عليها هذا الكلام وقوع الصاعقة وأخذ صدرها يعـــلو ويهبط وعيناها تدوران في الغرفة كأنما تبحث لها عن مخرج تنفذ

منه : واستدارت فى عصبية وقالت :

ـ لن أتزوج الآن يا جدتي ... أريد أن اتم دراستي .

ـ ولكن يا عهد عادل يريدك الان وهو شاب ممتاز وكل فتاة تتمناه زوجا لها .

فتطلعت اليها بعينين ملأتهما الدمـــوع وقالت في رجـــاء واستعطاف :

ـ أرجو يا جدتي ألا تكرهيني على ما لا أرضاه .

وانكفأت على الوسادة تبكي . فحملت الجدة رأس عهد بين يديها ووضعتها على صدرها وقالت :

ـ لا تبكي فلن يكرهك أحد على ما لا تحبين .

ولكن من حقي أن أعرف سبب رفضك وبالطبع لن تخفي شيئا عن جدتك .

ونظرت اليها عهد من خلال دموعها وقالت :

ـ ليس هناك ما اخفيه يا جدتي وانما لا أريـــد أن أتزوج الآن .

وحاولت الجدة أن تتسلل الى قلب عهد عسى أن تعرف ما وراء رفضها عادلا وحزنها . ولكن عهدا كانت تروغ منها في لباقة وحذر .

وجاء الدكتور عادل حسب ميعاده والفرحة تكسو وجهه . ولكنه صدم حين رفضت عهد مقابلته واخذت الجدة تشرح

له رغبة عهد في اتمام دراستها ، فحزن الدكتور عادل لرفض عهد الزواج به . ولكن لم ييأس وقال للجدة في عزم :

ـ سانتظرها الى أن توافق .

ـ انك يا ابني نبيل الخلق واتمنى على الله ان يحقق امنيتك .

وانتهى الموضوع عند هذا الحد . وباتت عهد ليلتها مؤرقة الجفن مسهدة حائرة قلقة ، وقد تبين لها ما كان يقصده الدكتور عادل حين أخذ يلاطفها ويثني على جمالها .. ولكنها من المستحيل أن تتزوجه فهي لن ترضى بعلاء بديلًا . لقد وعدته بأن تنتظره وأحبته كل الحب وتعلقت به ووضعت فيه كل آمالها ، وانها تراه كل شيء في حياتها وهي ترى نفسها كل شيء في حياته .

١٠

مضى عامان وعلاء في غربته يتحرق شوقاً لعهد ، وقد كان يتلقى رسائلها في لهفة وكان حبه حافزاً له لتفوقه في دراسته .

ولقد كان محبوباً من أساتذته وزملائه طلاباً وطالبات .

وكان يقضي اوقات فراغه في نادي الجامعة حيث يلعب التنس مع اصدقائه . وكان جميع الطلاب يرتاحون لصحبته ويثقون به لانه كان صريحاً معهم ويعاملهم بما يجب أن يعامل به .

وكانت توجد بين الطالبات طالبة تسمى (ليزا) فاتنة الجمال متوسطة الطول ممشوقة القوام جميلة الطلعة خلابة الحسن شعرها ذهبي اللون وعيناها زرقاوان تحمل فيهما غموضاً وحزناً وسحراً يمتزج ببريق من الذكاء .

وكانت غريبة الاطوار تحب الانفراد .

دائمة الجلوس تحت شجرة كبيرة في نادي الجامعة .

وكان جميع الطلبة يرمقونها في اعجاب ويطلقون عليها لقب الحسناء الغامضة . وكانو يتهافتون عليها ويحاول كل واحد منهم أن

يظفر بصداقتها ولكنها تنكرت لهم .

وابتعدت عنهم جميعاً وأخذت تعيش بينهم وهي في عالم آخر عالم كله غموض ولكنها كانت تراقب علاء وتدرس أخلاقـــه من بعيد ، وهي تشعر بأنه الوحيد الذي لا يضايقهـــا أو يطمع في جمالها .

* فأخذت تقترب منه وقامت بينهما صداقة بريئة .

وشعرت ليزا خلالها بنبل أخلاقه وصدق شعوره ورقة احساسه واتزان تصرفاته فكانت تطمئن لصحبته ، وكان علاء يرتاح لصحبته لها فهي وان كانت تمتاز بالجمال فهناك ناحية اخرى تمتاز فيها وهي طريقتها في الحديث فهي محدثة بارعة ، ولذا كان كلاهما يفضي بما في قلبه لصاحبه . حكى لها علاء عن مدى حبه لعهـــد وامنيته في اتمام دراسته حتى يعود الى وطنه ويتزوجها . وكيف أن عهـــداً ملكت قلبه وتفكيره وانه جاد في حبه متفانياً في سبيل تحقيـــق آمـــاله .

***

وكاشفته ليزا بأعز سر كان في طي الكتمان لا يعلم به أحد .

لقد كانت تعيش في المكسيك مع عائلتها فأحبت شخصاً لدرجة العبادة وتفتح قلبها على حبه ، وكانت صادقة في حبهـــا عاشت له أيامها ، وكان ضابطـــاً في الطيران الحربي محباً لعمله مخلصاً في أداء واجبـــه . وبادلها حباً بحب وتم زواجهما بالرغم من معارضة

والديها .

ومرت الايام جميلة تغمرهما السعادة ويحوطهما الهناء ، ورضخ الاهل أمام الامر الواقع وشاركوهما فرحتهما . ولكن القدر كان ضنيناً عليهما ، اذ ذهب في مناورة .. لقد كانت ليلة كلها شؤم ، ذهب ولم يعد .. ذهب الى الأبد .

وجاءها الخبر المشؤوم بموت زوجها . مات أملها في الحيـــاة ولكن بقي حبه حياً لا يموت . تعيش على ذكراه الخالدة .

انها تذكر كلماته الأخيرة التي قالها قبـــل أن يذهب ويلقي حتفه :

ـ أحبك يا ليزا وأخشى أن أكون سبباً لشقائك .

ـ شقائي ! وكيف ؟

ـ ان مهنتي خطرة كما تعلمين وأخشى الموت فهو يحوطني كلما صعدت الطائرة ، وخشيتي للموت ليست من أجـــلي ولكن من أجلك أنت . اريد الحياة من أجلك .. اريد حبي أن يدوم أبد الدهر .

ومن العبث أن نحاول أن نتذكر كيف مرت بها الايـام بعد موته .

كانت أشبه بالضائعة الضالة . كانت تقضي أوقاتها صامتـــة لا تتكلم واجمة . لا بكاء ولا عويـــل ولا دموع ولا صوت ولا حركة .

وعزاء البائسين في الدنيا أمل في لقاء في السماء .

حاولت الانتحار مرات عدة ولكن في العمر بقية . فرأت عائلتها أن تبعدها عن هذا الجو الذي يذكرها بالفجيعة فأرسلتها الى سويسرا حتى تكمل دراستها في الجامعة ، ولم تمانع واستسلمت لقرارهم ومضى عليها سنتان في الجامعة وذكراه لا تمحى ابداً .

ثم نظرت الى علاء فانحدرت من مقلتيها دمعة على خدها .

أخذ علاء يواسيها على ما أصابها وتعجب لوفائها لزوجها وشعر بمدى كرم أصلها ونبالة خلقها .

ترك علاء العنان لقلمه ليخط لعهد عن كل شيء مر به .

حكى لها عن العجوز صاحبة البيت الذي يسكن فيه وعن عطفها الذي تغمره به . لقد حرمت هذه العجوز من الاطفال . عاشت عمرها عاقراً . ولذا فقد كانت تشعر بحنين جارف نحو علاء كلما رأته . وعاملته كما لو كان ولدها . كانت سعيدة به تعنى بترتيب غرفته وبملابسه وبأكله ، وكان علاء يقابل عطفها باحترام ويغمرها بهداياه فكانت سعيدة به ايما سعاده .

وحكى لها عن ليزا الفتاة الحزينة التي يتمناها الكثيرون من زملائه ولكنها لا تتمنى أحداً . لقد وهبت قلبها ونفسها لحبيبها الراحل .

ووصف لها الساعات .. والايام .. والليالي القاسية التي تمر به في هذا البلد الغريب . وانساب قلمه يكتب في اسهاب ويسطر

في غير اقتضاب وهو مفعم بالحنين الى وطنه .. الى سمائه الى أرضه وإلى أيامه العذبة .. وليالية الساحرة الساهرة وشمسه المحرقة ونجومه المتألقة وأماكنه الخلابة التي تسعده زيارتها وارتياد مباهجها . وكم شعر بالغربة في هذا البلد ، ولولا اضطراره للبقاء من أجل دراسته لما بقي فيه يوماً واحداً .

كانت الجلسة في النادي ممتعة في تلك الليلة لشدة بردها فقام علاء مستأذناً من أصدقائه وانصرف وعبر الطريق متجهاً الى حيث يسكن . وكانت الأرض تلمع لمعان البرق لانعكاس ضوء المصابيح على مياه الامطار .. وكان الضباب يخيم على المنازل والاشجار .. واشتدت برودة الجو .

وصعد علاء الى المنزل وهو يشعر بالارهاق يتسلل الى كيانه .

وحينما اقترب من حجرة العجوز سمع انغام البيانو . انغام شجية أنغام بطيئة واضحة تنساب في رفق فتصل الى النفس وتنفذ إلى الأعماق . فأصاخ السمع وأحس بمشاعره ترق وتعبه يزول وكفت الأنامل عن العزف .

فطرق باب العجوز مستأذنا فسمع العجوز تقول بالفرنسية الرفيعة :

— من بالباب ؟

— علاء .

— ادخل .

دخل الغرفة . فرحبت به السيدة ووجدها جالسة امام البيانو وابتسمت له في حنان وقالت :

ـ ما الذي جاء بك في هذا الوقت المبكر ؟

فرد عليها قائلا :

ـ البرد شديد هذه الليلة ، وشعرت بالتعب .

ـ سأقدم لك القهوة وسوف تشعر بتحسن .

وشرب كوبا كبيرا منها فقالت له :

ـ الآن سوف تشعر بالدفء .

ـ أشكرك .

والقى علاء نظرة على البيانو الاثري وقال :

ـ لقد اعجبتني هذه القطعة . انها رائعة !

فضحكت السيدة قائلة :

ـ وهل هذه القطعة فقط هي التي أعجبتك ؟

ـ اني معجب بكل ما تعزفين . انك رائعة في العزف .

ـ ولكنك تميل الى هذه المقطوعة الحزينة ..

ـ لقد شعرت بأن تعبي قد ولى حينما سمعتها ، فمـــا اسم هذه المقطوعة ؟

ـ اسمها . ذكريات .

ـ أرجو أن تعزفيها حتى اسجلها .

ـ لك ذلك .

– اذن سأصعد لكي احضر آلة التسجيل .

وبعد برهة كان كل شيء قد اعد وجلست السيدة الى البيانو تحرك أناملها وتعزف بمهارة . لقد كانت المقطوعة رائعة حزينة فغاب علاء في عالم ذكرياته وهو لا يشعر بنفسه ، ومرت صورة عهد أمام عينيه .

وحاول أن يمنع دمعة تتأرجح في مقلتيه ولكنه عجز .

وانتهت العجوز من العزف فدهشت حين لمحت دموع علاء تتساقط ، فقامت من مكانها واقتربت منه وقالت في رفق :

– لماذا كل هذا الحزن يا ولدي .. هل برح بك الشوق الى أهلك ووطنك الى هذا الحد ؟ . لا تحزن يا ولدي ، فالزمن يجري بسرعة والسنين تمر مر السحاب .

وقريبا تعود الى أهلك ليفخروا بك وقد نلت شهادتك . اضحك وتغلب على دنياك بالابتسامة ، فهي علاج كل داء وحل لكل مشكلة .

فنهض علاء وعلى شفتيه ابتسامة مصطنعة وشكر لها عطفها . ووعدها بأن يتجلد ويصبر ، وتمنى لها نوما لذيذا واحلاما سعيدة وصعد الى غرفته وهو في حيرة من امره .

كان يوم عطلة وكانت الساعة قد بلغت التاسعة عندما هبط علاء من غرفته . وكانت الشمس قد احتجبت منذ اسبوع واخذت تشتد فارتدى معطفه وخرج من المنزل في طريقه الى

النادي .

وحين وصل الى النادي لمح صديقا له يقف على سلم المدخل فاتجه نحوه وما ان رآه صديقه حتى صاح به :

ـ لقد كنت فى انتظارك . سنذهب اليوم مع بعض الاصدقاء للانزلاق على الجليد . انها رياضة جميلة .

فقال له علاء :

ـ لا ، لن أستطيع الذهاب معك لاني لم امارس هذه الرياضة .

ـ ستتعلم ، لا تكن كسولا ، فلقد احضرت لك كل ما يلزم .

وركب الاصدقاء جميعا السيارات وانطلقت بهم الى المكان المعد لممارسة هذه الرياضة .

وشعر علاء بالراحة حين رأى الجليد المتساقط على الاشجار وكلما يزداد ارتفاع السيارات على الجبال يزداد المنظر جمالا وسحرا . وخلب لب علاء منظر الجليد الابيض الرائع وكأنه رمال بيضاء واسعة . وتمنى لو كانت عهد معه تشاركه هذه النزهة الممتعة ، وتصورها بجانبه والسعادة ترفرف حولها وهو يسمع في نشوة ضحكات حبيبته وهتافها الذي اعتادت ان تسمعه اياه حين يكونان سويا .

وسبح مع خياله وشعر بأن قلبه يعتصر حزنا على فراقها انه

اصبح لا يستطيع ان يقاوم لهفته عليها وشوقه اليها .

ووقفت بهم السيارات واندفع الجميع يستعدون لممارسة هذه الرياضة وعلاء يراقبهم ، واخذ يداعب الجليد بيده فاقترب منه احد أصدقائه قائلًا :

ـ علاء ، لا بد لك من مشاركتنا في هذه اللعبة .

ـ انني لم أتعلمها بعد ويبدو لي أنها صعبة .

ـ لا بل سهلة جدا اذا عرفت كيف تحفظ توازنك .

ـ سأحاول أن أجرب .

ـ اذن تعال معي .

وأمسك علاء بيد صديقه واخذ يحاول انيحاكيه . ومر عليهما وقت طويل وشعر علاء بأنه تحسن بعض الشيء . لقد بدأ يستقل بنفسه دون معاونة أحد .

انه الآن يمارسها دون أن تنحرف رجليه ويقع .

وأخذ صديقه يثني عليه ويحسده على هذا التقدم السريع لقد اصبح الآن يتقن هذه اللعبة .

وحين جاء موعد رجوعهم قرر بعضهم أن يعود بالقطار وكان معهم علاء ، فجلس بجانب الشرفة . وتحرك القطار وسار بين أشجار عالية وعلاء يمتع ناظريه بهذه المناظر الخلابة التي تمر بـه وظهرت البيوت وانخفض الارتفاع وما هي الا دقائق حتى وصل القطار الى المحطة .

ومضى علاء الى بيته وهو يشعر بالنشاط يسري في جسده وراقه كل ما رآه في تلك البقعة الجميلة .

ولم تنقطع عن علاء رسائل عهد التي كانت تأتيه متواليـة متتابعة . ولم يكن شيء أحب اليه وهو في غربته ووحدته من أن يجلس الى هذه الرسائل يقرأ جديدها ويقلب قديمها . كان يجد في هذه الرسائل الراحة النفسية والحصن على الصبر والاجتهاد وتذكيراً بوعده وحبه .

وعكف علاء على كتبه ومحاضراته يستذكرها ويفتح عينيه على كل جديد في ثقافته مشاركاً زملاءه في مذاكراتهم وزياراتهم ورحلاتهم فكان موضع الاحترام والحب من الجميع .

١١

فرحت الجدة حينما قبلت عهد الدعوة حضور حفل زفاف قريبة لها . وقبل ذهابها الى الحفل تطلعت عهد الى المرآة تشاهد نفسها في هذا الثوب الجديد الذي أهداه لها والدها قبل سفره ، وتذكرت علاء وسألت نفسها :

– ترى ماذا كان يقول لو رآها في هذا الثوب البديع ؟..

وهل تشبع عيناه من النظر الى فتنتها .. لقد أصبحت فتاة ناضجة وزهرة حان قطافها وثمرة آن جنيها .

ظهرت انوثتها في كل جزء منها ، فلو رآها الآن لانكرها كأنما لم يقع نظره عليها من قبل .

وأحست برجفة تسري في جسدها البض وتراخت جفونها وشعرت كأنما الارض تميد تحت قدميها من ألم الفراق ، فكم تمنت لو كان معها الآن ، وزمت شفتيها من الغيظ وتنهدت وعلا صدرها بما يحمل وخرجت منها زفرة كأنها لهيب جمر

متقد فخرجت من غرفتها مسرعة كي لا تعـــدل عن الذهاب الى الحفل .

وصلت الى مكان الحفل مع جدتها فتطلع الجميع اليها وقـــد بهرتهم بفتنتها وأناقتها ، واقتربت عهد من العروسين تهنئهما وتركت جدتها مع بعض قريباتها وجلست هي مع صديقاتها . وفجأة لمحت الدكتور عادل يدخل واذا بالفتيات يتهامسن عليه ويثنين على جماله وظرفه وخفة دمه ويرسلن آهات أترابهن أدرى بها ، وكل واحدة منهن تتمناه لنفسها بعلا .

ورأت عهد الدكتور عادل يقترب منها مبتسما :

— عهد ، اني اليوم سعيد لرؤيتك !

— شكرا لك يا دكتور .

— أرجو ان لا تهربي مني اليوم .

— اني لم أهرب منك من قبل .

— لقد رفضت الزواج بي من قبـــل فاقبليني اليوم صديقـــا وأخا .

وشعرت عهد بمدى حزنه . لقد كان رفضها الزواج منـــه جرحا لن يندمل ، ومع ذلك لم يحـــاول أن يفاتحها أو يشعرها بشيء طيلة هـــذه السنين ، واستسلم للواقع وان كان مؤلمـــا والآن يقف أمامها يطلب منها ان يكون صديقا وان تعتبره أخا لهـــا .

وتنهدت في ألم . ليتها كان لها أخ يشاركها فرحها وآلامها ، ويشاطرها تقلبات الحياة الدنيا . وأفاقت على صوته يقول :

ـ ألست جديرا بأن أكون أخا لك ؟

ـ عفوا يا دكتور ، أنت أخي وهذا يشرفني .

فبرقت عيناه بالفرح :

ـ لي الشرف الكبير يا أجمل اخت .

وضحكا في مرح والفتيات ينظرن اليهما ويتغامزن عليهما ، فلم تبال عهد بهن واندمجت مع الدكتور في حديث عذب .

وأعجبتها طريقة حديثه الذي تطرق الى امور عدة . تكلم عن الطب وعن المجتمع ثم عزفت الموسيقى فقامت لتشاركه الرقص وهي تشعر بالراحة لمصاحبته . انها سعيدة بهذه الصداقة الاخوية .

شعرت الجدة بأنها أطالا الجلسة فأشارت لعهد بالانصراف وودعها الدكتور عادل الى خارج المنزل .

وعادت عهد الى غرفتها لتستريح وتسترجع ذكرياتها وتقارن بين علاء والدكتور عادل ، ولكنها شعرت بشيء يجذبها نحو علاء واحساس جارف نحوه. ان قلبها مشحون بحبه وليس من السهل أن تتحول عنه .

وهي قد خلقت له وهو ما خلق الا لها . كلاهما قسيم الآخر ، وكلاهما ينتظر المستقبل الموعود مع الاخر .

فقامت الى النافذة وفتحتها لتتنسم هـــواء الليل البـــارد وجعلت تستعرض في خيالها صور أيامها الخاليـــة التي انطوت على كثير من آمالها وأحلامها وآلامها . فتساقط الدمـــع من عينيها وتمنت لو أتت قوة وحملتها من هذا المكان الى حيث يكون الحبيب .

أسرب القطا هل من يعير جناحه
لعلي الى من قـــد هويت أطير

ونظرت الى الجانب الايمن ، حيث المنزل الذي كان يقطنه علاء وباعه والده بعد سفره ، فخفق قلبها وأخذ دمعها الصـــامت يسيل على خديها وهي تحاول كتمانه ، لانها لو أطلقت العنان لنفسها في البكاء لبلغ صوت نشيجها عنان السماء .

ودارت برأسها الصغير عدة أسئلة :

ترى ماذا يفعل الآن ؟

وهل يعاني من ألم الجوى مثلما اعاني ؟

لشد ما اشتقت اليك أيها الحبيب ..

لقد وعدتني أن تكون مخلصاً لي ، فهل تفي بوعدك ؟

اني وفية لك ، وسأظل الوفية ما دام هناك في قلب ينبض

مهما فرق بيننا الزمان وباعدت الديار فصورتك في خيالي وحبك في قلبي .

وامسكت القلم لتكتب لهرسالة بعد ان شعرت بلهيب الشوق وبلهفة لمناجاته .

« حبيبي الغالي .

الليل . البعد . السكون . الشوق ولكن ما هذا الشيء الذي أشعر به وأنا بعيدة عنك . هو الفرقة هو الشوق هو الحب ولكن ما هو هذا الشيء الذي أعيش عليه أو به هذه الايام وأنت بعيد عني أيها الحبيب ..

حبيبي . في هذه الليالي أشكو نفسي اليك لانها دائما تفكر فيك وفي أطوارك وحوادثك واخبارك . اني قلقة عليك فيوحدتك وغربتك ، اريدك معي بجانبي .. لا اريد الفراق لان ذلك يضعفني ويجعلني لا افكر في شيء الا فيك وفي بعدك وفي حياتك وأنا بعيدة عنك وعنها .

أتدري مقدار السعادة التي تغمرني حين أكون معك .. أظنك تعرف .. واعتقد انك تشعر بمدى حبي لك وتسمع خفقان قلبي : لقد كان لقاء وكانت مواعيد وكان الهمس وكانت ارواح تتقابل وتتهافت وهي نشوانة فرحة فما أجمل حبنا .

اكتب لك الآن وأنا في شوق زائد وحيرة قاتلة . فأنت في نفسي وفي فكري .. أنت دنيـــاي وآخرتي .. وساكف عن الكتابة الآن لوقت آخر في القريب . لك حبي والى اللقـــاء في أسعد الاوقات »

عهد

١٢

جلست عهد الى مكتبتها تقلب بين كراسة المحاضرات . لقد شعرت بفرحة في السنة الاولى بكلية الآداب . وشجعها نجاحها على مواظبتها في المذاكرة واطلاعها على محاضراتها باستمرار فأظهرت تفوقا ملحوظاً .

وبدأت السنة الثانية الدراسية ، واقبلت عهد على كتبها في نشاط وتفوق ملحوظ . وشغلتها حياة الجامعة بعض الوقت وأخرجتها من انطوائها وحزنها ، وبعد فترة طويلة قضتها في عناء المذاكرة ، قامت عهد الى غرفتها واستلقت على سريرها وبيدها خطاب من علاء وصلها صباح اليوم . ونظرت الى كلماته وهي تكاد تطير فرحاً وقرأته مرارا وكلما قرأته مرة اعادت قراءته مرة اخرى حتى حفظته عن ظهر قلب .

« صغيرتي العزيزة .

لم يبق على عودتي اليك يا أحب الناس الي الا تسعة أشهر .

ويخيل الي وأنا أجلس بجوارك اني لست على الدنيا .. ان دنيانا يا حبيبتي لا يمكن أن تهب للانسان مثل هذا النعيم .. نشعر بأننا محلقين في أجواء الفضاء كالنسور . لقد هذب الحب حياتنا وصقل دنيانا وجعلها فردوسا . اني أرقب لقاءنا بشوق وشغف وحنين ولهفة » .

وانحنت على الحطاب تضمه الى صدرها بشوق وتضعه على قلبها في رفق ، وأغمضت عينيها وتراخت أطرافها واستسلمت لشعور مبهم لذيذ .

بدأت عطلة نصف السنة . ووقفت عهد وسط الحديقة تنتقي الزهور الجميلة وعلى ثغرها ابتسامة مشرقة . كانت تُبدو مرحة تتنقل من مكان الى آخر في الحديقة ، فلمحت عربة الدكتور عادل تقف أمام البيت .

وما ان رآها حتى رفع يده محيياً . وما ان اقترب منها حتى أعطاها صندوقاً من الشيكولاته كالمعتاد. ورحبت به عهد وواصلت قطفها الزهور وهو بجانبها يحاذثها وفي عينيه فرحة وعلى شفتيه ابتسامة وقال :

ـ غدا سيقام حفل في نادي المستشفى .

ـ بأية مناسبة ؟

ـ حفل خيري ستقيمه نقابة الاطباء ، ويسعدني أن تكوني والجدة هناك .

– اذن تعال وأخبر جدتي .

وهما بدخول المنزل ولكنهما سمعا صوتا يهتف خلفهما :

– عهد . عهد .

نظرا خلفهما فاذا بندى تسرع وتحتضن عهدا في شوق وانهالت عليها عهد بالقبلات وسألتها :

– متى حضرت القاهرة ؟

– منذ ساعة ، ولم استطع الانتظار ريثما أبدل ثياب السفر فأتيت اليك تواً .

– شكرا لك يا عزيزتي .

ونظرت ندى الى الدكتور عادل في دهشة وقالت موجهة حديثها لعهد :

– أليس من الذوق أن تعرفينا على بعض ؟

فضحكت عهد ونظرت الى صديقتها في مكر قائلة :

– معذرة . اقدم لك الدكتور عادل ابن عم بابا .

والتفتت الى الدكتور عادل واستطردت قائلة :

– ندى حافظ . صديقة الطفولة وأصبحت من سكان الاسكندرية .

ومد الدكتور يده مصافحاً ندى :.

– تشرفنا يا آنسة ندى ..

ودخل الجميع المنزل وأخذوا أماكنهم في البهو الكبير ، ومر

عليهم الوقت وهم يتجاذبون أطراف الحديث وندى تنظر الى الدكتور في اعجاب وتصغي لحديثه في اهتمام . ثم التفتت الى عهد قائلة :

– اسمعت بالرحلة التي نظمتها الجامعة للسفر الى روما في اجازة الصيف ؟

– نعم ولكن من الصعب أن يوافق والدي على السفر بمفردي. وكم تمنيت لو كانت الرحلة الى سويسرا

فنظرت اليها ندى في خبث وقالت :

– ولماذا سويسرا بالذات ؟

فبدا الارتباك على وجه عهد واسرعت قائلة :

– لاني سمعت عنها الكثير من والدي .

قالت ندى وهى تنظر الى الدكتور عادل :

– أنا لا يهمني سويسرا ام روما وانما أريد ان اسافر لكي ارى العالم وأود لو وافق والدي .

فخرج صوت الدكتور عادل قوياً متزناً :

– ارى ان يشجع كل والد فتاته على اشتراكها في رحلات كليتها ، فالرحلة ثقافة متعددة النواحي والجوانب وتعلمها أشياء كثيرة لا توجد في الكتب مثل : الذوق ، والاعتماد على النفس ، الشجاعة ، الصبر ، وبذلك تتكامل شخصيتها وتقوي وتدرك الامور وتنمو معارفها ومعلوماتها فتصبح فتاة ناضجة الوعي سليمة

التفكير حسنة التصرف .

فردت عليه ندى في اعجاب وقالت :

ـ كلامك جميل يا دكتور ، وليت والدي معنا الان ليسمع كلامك .

فقالت عهد :

ـ من الصعب أن يترك اولياء الامور الحرية للفتاة بهذه السهولة .

وسكت الدكتور عادل قليلا وتطلع الى الافق البعيد وقال :

ـ الآن يجب على فتياتنا أن يتطورن بحيث يساير الزمن ، فعصرنا اليوم عصر السرعة والذرة وينبغي للفتاة أن تتطور حتى تكون تكملة للنهضة الاقتصادية والاجتماعية واتماماً للتقدم والرقي .

وردت عليه في اهتمام :

ـ هذا الكلام يتفق ومبدئي ولكنه يحتاج الى وقت طويل لتطبيقه وتنفيذ هذه الرغبات التي هي وليدة عصرنا ، ومن المحتمل أن تكون الفتاة ضحية نفسها لو تطرفت دون أن تؤهل نفسها لاتباع الخطوات التي تمليها عليها الظروف والاوضاع .

وقال الدكتور عادل :

ـ ان الفتاة لا يمكن أن تترك لتتصرف كيفما شاءت . ومن حيث مبدئي الذي ذكرته أرى ان التطور لا بد أن يكون على

مثال التحفظ . ولهذا الهدف لا بد أن تقوى شخصية فتياتنا بالتربية الحديثة في ظل الاتجاهات المرسومة في عهدنا هذا ، ومن ذلك نجد أن التربية السليمة تقوم على اساس الاطلاع والحرية الموجهة والعلم الذي لا بد أن يشمل كل مجالات الحياة ، من حيث المنزل والمدرسة والمجتمع .. هذه كلها خطوات لا بد ان تنال قسطا من الأهمية حتى نكون آمنين على مستقبل فتياتنا . وأضيف الى ذلك ان حرية الاختيار والأطمئنان على ان فتاتنا تشعر بحقوقها يكسبها القوة وتصبح عضوا عاملا في مجتمع متجانس .

قالت ندى :

– ان كثير من العائلات ما زالت تتمسك بتقاليدها القديمة التي تتمثل في التحفظ وعدم الاندفاع في ركب التقدم .

– هؤلاء الناس يا آنستي يتمسكون بتقاليدهم كي لا يتحملوا مسؤلية هذا العصر التي تغاير تقاليد آبائهم . وان حاول هؤلاء التغلب على طباعهم الموروثة لما وجدنا أمامنا مشكلة التقدم ، ولكن الوقت كفيل بأن يعالج الموقف .

دخلت عليهم الجدة ورحبت بهم وشعرت بأنها قطعت عليهم حديثهم فأسرعت قائلة :

– أرجو ان لا اكون قطعت حديثكم .

واسرعت ندى بالنفي واسترسلت قائلة :

ـ لقد أبدع الدكتور عادل في الدفاع عن الفتاة .. انه محدث بارع .

فنظرت الجدة الى عهد وكأنها تعاتبها لرفضها الزواج منه وهي تسمع شهادة صديقتها وترى اعجابها به .

فقالت الجدة :

ـ الدكتور عادل لا ينقصه شيء . وكم تمنيت لو رزقني الله بولد مثله .

شعر الدكتور عادل بالحرج لكثرة المدح والاطراء الذي انهال عليه وأسرع قائلا كي يغير مجرى الحديث :

ـ اذا تكرمت الجدة العزيزة بأن تحضر حفل نقابة الأطباء غدا اكون شاكرا فضلها .

ـ لن أستطيع يا بني لأني مرتبطة بميعاد . ولكن اذا أحبت عهد وندى أن تذهبا بصاحبتك فلا مانع عندي .

فردت ندى قائلة :

ـ سوف اخبر والدتي واتصل بعهد في التليفون بعد رجوعي الى البيت .

١٣

في بهو كبير حافل اجتمع الاطباء وزوجاتهم وأقاربهم وبعض الشخصيات الكبيرة بالمدينة . وكانت نسبة الجمال والاناقة مرتفعة بشكل ملفت للانظار وقد التف حول كل مائدة باقة من الجميلات الفاتنات ارتدت كل منهن أجمل ما لديها من ثياب وما عندها من حلي وأراقت ما لديها من عطور على جسدها .

بدأ الحفل بالغناء من أشهر مطربي العاصمة .

وجلست عهد وندى على مائدة يتوسطها الدكتور عادل وهو يتيه عجبا لوجود هاتين الزهرتين النادرتين معه وقد لاحظ تطلع كل من في الحفل الى عهد وندى في اعجاب وحسد .

فهمس لهما قائلا :

ـ كم أنا سعيد الحظ هذه الليلة .. اني أجلس مع أجمل فتاتين

في الحفل .

فردت عليه ندى في دلال وغرور :

ـ ان نسبة الجمال مرتفعة جدا يا دكتور ، وانما أنت مجامل ممتاز .

وأخذت ندى تلاطفه وتحاول لفت نظره اليها وهو يجاملها ببعض الكلمات ويختلس النظر بين آن واخر الى وجه عهد ونظراتها الشاردة ، ويكاد يلم بكل ما يطوف برأسها الصغير من أفكار .

وأخذ يسأل نفسه :

ـ ترى ماذا يشغلها ؟

هل تحب انسانا آخر ؟ وما نهاية هذا الحب ان كان ؟

ربما يكون نزوة من نزوات المراهقة .

ولبث الدكتور عادل بعض الوقت نهبا لافكاره وهواجسه .

وأثناء الاستراحة قامت بعض الفتيات ببعض الزهور لصالح الجمعية الخيرية ، وتبرع من ان في الحفل بشراء الورود ، وانبعثت انغام الموسيقى الغربية الخفيفة وخفضت الاضواء وقام البعض الى حلبة الرقص وأصبح الجو شاعريا يبعث الى النفس الراحة والهناء .

وبدأ القسم الثاني من الحفل . دوت الصالة بالتصفيق الحاد ظهور المطرب العاطفي المشهور .

وأخذت الفتيات تهتف له طالبة كل منها اغنيتها المفضلة ، واستجاب لبعض الرغبات باحدى اغنياته العاطفية المحبوبة ، وانبعث صوته الحنون الى الاعماق ، ودقت القلوب طربا واطلقت الفتيات الزفرات والآهات وصفقن بحرارة والجميع يلحون عليه بأن يعيد كلمات الاغنية التي ملأت حواسهم وشجت نفوسهم .

انتهى الحفل وهم المدعوون بالانصراف وكل منهم يبدو عليه أنه قضى وقتا ممتعا سعيدا .

عاد الدكتور عادل الى سيارته بعد أن رافق عهد وندى الى عربتها ، وكانت ندى تنظر اليه نظرات لا تخلو من معان .

وركب الدكتور عادل عربته وانطلق بها في قوة جعلت عجلاتها تحدث صوتا مسموعا من احتكاكها بالارض. وما ان وصل بجانب النيل حتى أوقف العربة وأخذ يستنشق النسيم العليل . وازدحمت الاسئلة في رأسه . انه يعمل ما في وسعه لكتمان عاطفته نحو عهد كي لا يجعلها تنفر منه . انه أصبح لا يقوى على الاحتمال فماذا يفعل ؟ وكم يريد أن يعرف ان كانت عهد تحب شخصا آخر أم لا ؟ ومن يكون ذلك المحبوب ثم يراجع نفسه ويؤنبها كيف هذا في عهد .

ولكنه يعود ويقول لنفسه : ان كان لا يوجد شخص آخر في حياتها فلماذا ترفض الزواج به ؟

لا بد أن يكون هناك شخص ما ولكن من يكون ؟ لقد ظل طيلة عمره لا يخفق قلبه بحب اي امرأة ، حتى اذا ما تعلق قلبه بفتاة اكتشف بأنها لا تبادله حبها. ولكن هل يجرؤ على سؤالها عمن تحب ؟ لا سبيل الى ذلك ، وخصوصا فهي منطوية تخفي عاطفتها عن كل من حولها .

وتذكر ندى .. هل من الممكن أن تعرف ما تخفيه عبد .. انها صديقتها منذ الصغر . وقفز الى ذهنه خاطر لم يقو على مقاومته. فقد صمم على أن يعرف كل شيء من ندى . ومرت بضعة أيام كان لا هم له فيها الا التربص لندى يحاول الانفراد بها دون أن تعرف عبد بذلك . ونجح في أخذ ميعاد منها .

كان المطر ينهمر بشدة حين هبطت ندى من سيارة اجرة واسرعت داخل الكازينو الذي حدد لها فيه الموعد وعلى وجهها امارات الفرحة بادية . وما كادت تجلس الى احدى الموائد المنعزلة حتى سمعت صوت الدكتور عادل يقول لها :

ـ ندى ، اني سعيد لمجيئك !

قالت له وبريق السعادة في عينيها :

ـ امنيتي أن ألقاك على انفراد يا عادل .

وفوجيء الدكتور عادل بعبارتها. وقبل أن يجيب عليها سحب مقعدا وجلس الى جوارها فنظرت اليه قائلة :

ـ كنت أشعر بأنك تودمحادثتي طوال هذه الأيام فكم أنا سعيدة

لانك طلبت مقابلتي .

فقال لها بصوته العميق :

ـ نعم كنت أود ان أسالك عن أشياء كثيرة ولكن ..

ولم تتحرك شفتاه بأي كلام . لقد صمم أن يسألها عن عهد ولكن الآن وبعد أن اكتشف شعورها من ناحيته وفرحتها بلقائه لازم الصمت وطوى لهفته على معرفة الحقيقة منها ، حقيقة شعور عهد . وأخيرا لم يجد أفضل من الصمت .

ولم تلح عليه ندى باكمال ما كان يريد ان يقوله وانما أسرعت بتغيير مجرى الحديث ورفعت سحابة الصمت المخيم عليها :

ـ كيف حال مرضاك ؟ .

وسره اهتمامها وحسن لباقتها لتغيير مجرى الحديث فرد عليها قائلا :

ـ ان كثيراً من الناس في هذه الايام يشكون من التهاب في الاذن، وهذه الالتهابات ناتجة عن زكام شديد يمتد من داخل الانف الى داخل الاذن الوسطى ومن هناك تمتد الالتهابات الى الاذن الداخلية وتصبح الحالة خطيرة .

فسألته ندى باهتمام :

ـ وهل يستغرق علاج هذه الحالات وقتاطويلا ؟

وهل هناك خطر داهم على حاسة السمع ؟

ـ هـذه الحالة تحتاج الى وقت وصبر ، وتتطلب أيضا

اهتماما خاصـــا من الطبيب المعـــالج حتى يزول الخطر ويسلم سمعه .

ونظر اليهـــا الدكتور ثم تبـــادلا النظرات فاستطرد قائلا :

– يبدو عليك يا ندى الاهتمام بهذه المسألة الطبية ؟

ورفعت فيه عينيها اللتين انبعث منهما حنان دفين وقالت :

– يا عادل ، ان الذي يهمك يهمني .

فعصفت به الحيرة وشعر بأنه المسؤول عن هذا الموقف الذي أحدثه فقال لها :

– يا ندى ، أنت فتاة رقيقة ولا اريد أن اسبب لك الآلام فلا تندفعي بالحكم على عواطفك . فأنا لا أستحق منك هذه العواطف السامية واريد أن أقول لك اني ...

فقاطعته قائلة :.

– لا يهمني يا عادل ما تريد أن تقوله . فأنا أعرف كل شيء عنك واعلم بأن قلبك ليس لي . واشعر بما تقاسيه من آلام بسبب الانسانة التي تحبها ولم تبادلك الحب ، وهذا ما شجعني على التمادي في حبك ، فأنت في حاجة الى عطفي وحناني وحبي. ومهما اختلفت طرقنا ومسالكنا في الحياة ستجدني دائمـــا احبك واتمنى لـــك السعادة ..

– ندى أرجوك ألا تتسرعي ..

ـ أنا لم أتسرع في شيء ، ولا أطلب منك الكثير غير أن أراك كلما حضرت الى القاهرة .

فنظر الى عينيها الصافيتين وقال في استسلام :

لك ذلك .

قالت ندى وهي تنظر الى الخارج وترقب المطر المتساقط :

ـ يا عادل أود أن تحقق لي امنية طالما راودتني ..

فقال في تعجب :

ـ ما هي .. يا ندى ؟

ـ اني أرغب دائما في السير تحت المطر . وهذه امنيتي حينما أكون مع من احب .

فقال لها في استغراب :

ـ يا لك من انسانة خيالية ، ولكن لن أرفض لك طلبا .

ونهضا الى الخارج وساروا على الاقدام تحت المطر المتساقط وقد خيم عليهما الظلام ورذاذ المطر يداعبهما . وبعد فترة طويلة مضت على سيرهما قالت ندى في حنان ظاهر :

ـ ان السعادة لحظات تمر سريعة ، وكم اتمنى لو أن الزمن توقف وطالت هذه اللحظات .

وصار الدكتور عادل يصغي لكلامها الذي شعر بأنه بدد ظلام وحدته وأشاع في نفسه نورا بعد الظلمة التي كان يعانيها .

ووصل الدكتور عادل إلى منزله الذي يقع في بقعة خلوية جميلة . تحوطه حديقة صغيرة منسقة الاشجار والورود . وفتح له الباب خادم كبير السن يلبس جلباباً أبيض ولف على رأسه عمامة . واقترب منه كلب كبير الحجم جميل الشكل وأخذ ينبح ويهز ذيله يظهر الفرحة بقدوم سيده وصار يحوم حوله .

وقال له خادمه :

— الدكتور عبداللطيف بالداخل ينتظر سعادتك بالصالون .

وتقدم الدكتور عادل إلى الصالون الواسع ورائحة القرنفل تفوح منه ، واقترب من صديقه الذي قد ناهز الخامسة والثلاثين من عمره قصير ممتلىء أسمر اللون شعره مجعد ، وفي فمه سيجار ضخم ينبعث منه دخان كثيف :

— أهلاً دكتور عبد اللطيف !

فنظر إليه صديقه في عجب وقال :

— إن ملابسك مبللة ، ماذا جرى لك ؟

فضحك الدكتور عادل وقال :

— لقد كنت أسير تحت المطر .

— ماذا جرى لعقلك يادكتور عادل ؟

— ان عقلي سليم يا صديقي وكنت أود ان أمر عليك الليلة لامر هام .

ـ لقد وصلت من ربع ساعة وظننتك في البيت فأين كنت ؟
ـ كنت اتنزه تحت المطر .
ـ لا داعي للمزاح ، اخبرني ماذا حدث لك ؟
فأجابه عادل :
ـ انما حدث ما لم أكن اتوقعه .
وبدا الاهتمام على وجه الدكتور عبد اللطيف .
ولكن الدكتور عادل لم يستمر في حديثه وانما استأذن لاستبدال ملابسه .

عاد الدكتور عادل وقد ارتدى روباً من الصـــوف الأزرق وجلس امام صديقه يحاول أن يحصر أفكاره المتزاحمة فقال :
ـ ماذا تفعل يا دكتور لو أحببت فتاة ولم تبادلك الحب ثم تعلم بأن فتاة اخرى تهيم بك حبا على الرغم من علمها بأن قلبـــك لغيرها ومع ذلك فهي تحبك ؟ . .

وسدد نظراته الى وجه الدكتور عبد اللطيف يبحث عن أثر كلامه في وجهه فرأى الوجوم باديا عليه وأسرع الدكتور عادل يتم حديثه :
ـ أجب يا صديقي . اريد منك جوابا شافيا صريحا .
فقال الدكتور عبد اللطيف :
ـ ان هـــذه الفتاة يا صديقي تستحق التقدير ، ويجب على الشخص الذي أحبته أن يحاول أن يرى فيها حبيبته التي تمناها ولم

تتجاوب معه .

قطب الدكتور عادل حاجبيه وقال في عصبية :

ـ ولو كان هذا الشخص لا يزال يطمع في الزواج من فتاته الاولى ؟

ـ معنى ذلك انه لا يهمه أنها تبادله العاطفة أو لا تبادله، وهذا في رأيي الخاص انسان انانى لا يهمه الا رغباته الخاصة .

فزادت عصبية الدكتور عادل وأشعل سيجارة وقال :

ـ كثيرون يقولون ان الحب يولد بعد الزواج !

ـ فى حالات اخرى . وذلك ان وجد التجاوب والاتفاق في الآراء والاتجاهات والميول ولم يوجد بينهما تنافر، وهنا يتولد الحب وينمو ويترعرع في ظل الحياة الزوجية المدعمة بالمعاملة الحسنة والعشرة الطيبة .

ولكن اذا عرف الشخص ان الفتاة التي يحبها لا ترغب في الزواج به ولا تبادله عاطفة بعاطفة فمن الصعب عليه ان يجعلها تحبه وبذلك يكون قد خدع نفسه بالتفكير في الزواج منها .

وضع الدكتورعبد اللطيف السيجار في فمه وأخذ يجذب أنفاسا عميقة ثم استطرد قائلا :

ـ الحب يا صديقي يجب ان يكون متبادلا وان يكون خاليا من الانانية . الحب عطاء لا أخذ ، وان يحب المحب حبيبه للحب

نفسه . الحب اسمى من أن يكون وسيلة الى نقيضه . ولا يكون الحب حبا الا اذا تغذى بتضحيات .

شرد الدكتور عادل ولم يحاول أن يجيب على صديقه .

ومرت فترة من الزمن ساد بينهما السكون خلالها . ثم بدده الدكتور عبد اللطيف حين قال :

ـ لقد علمت الآن ما تمر به من قسوة وحيرة ، ولكن نصيحتي بالابتعاد عن الشيء الذي يسبب لك المتاعب .

ونظر الدكتور عادل اليه وقال :

ـ لقد حاولت ولكن حينما أراها لا أستطيع ان أنسى حبي لها .

ـ يخيل الي انك ترغب في تعذيب نفسك بنفسك .

وشعر الدكتور عادل بالضيق بصراحة صديقة فقال له :

ـ انك لم تحاول أن تساعدني على ما انا فيه على الوجه الذي يحقق سعادتي .

فضحك الدكتور عبد اللطيف وقال :

ـ لقد طلبت مني الصراحة في قولي والآن تغضب للصراحة . تريث كي لا تندم في المستقبل وسوف يأتي ما هو مقدر لك من حيث لا تعلم .

واعتدل الدكتور عبد اللطيف فى جلسته ثم أخرج علبة الثقاب وأشعل سيجاره الذي انطفأ وقال وهو ينفث دخانه :

- لا احب أن أنبش الماضي . ان الماضي قد ولّى واسدل عليه ستارة كثيفة وخير لنا أن لا نبعثه من مرقده ، ولكن اريدك أن تسمع هذه القصة التي حدثت لي قبل خمسة عشر عاما ولا يعرفها أحد من قبل :

التقيت بها على محطة الاتوبيس الذي يحملني كل يوم الى الجيزة حيث الجامعة . وقفزت داخله وأخذت مكاني بجانبها ولفت نظري جمالها . اختلست نظرة اليها وتعددت النظرات . واحسست بأن شيئا ما يجذبني اليها . وشعرت بجسمي يرتعد وحلقي يجف ونزلت من المركبة قبلي بمحطة وتمنيت لو لم تكن الساعة وقت محاضرة هامة لتبعتها .

ومر علي أربعة أيام لا أراها وخامس يوم جاءت في نفس الموعد . وركبنا الاتوبيس ، وقد صممت على متابعتها مهما كلفني الامر ، ولكن حظي السيء حال دون ذلك اذ صعد صديق لي العربة وجلس تجـــاهي وادخلني في حديث سخيف ، ولم أستطع التخلص منه حينما نزلت فتاتي وبالطبع سار معي حتى دخلنا قاعة المحاضرات سويا .

ومضت الايام سراعا وكل يوم نتقابل في نفس الزمان والمكان وأنا اراقب حركاتها وسكناتها ولكنها لم تشعر بوجودي ، فـــلم تكن عندي الجرأة الكافية حتى افاتحها في الكلام . وانهـــارت اعصابي لانني لم أستطع ان أعرف عنها شيئا فقررت ان لا أراها .

وسافرت الى رأس البر كي أنساها ومر علي شهر وأنا لا افكر الا فيها : لقد احتلت قلبي . فرجعت الى القاهرة وأخذت أنتظرها في نفس الزمان والمكان ولكنهـــا لم تأت ، وتكرر انتظاري ثم استولى علي اليأس .

ومضى علي عام بأكمله وأنا لا أعرف أين اختفت فتاتي .

وفي يوم كنت ذاهبا الى مقصف الجامعة فرأيت صورة طبق الاصل من فتاتي ، فدق قلبي بعنف واقتربت منها ولكن سرعان ما تبين لي أنها ليست هي . لقد كانت فتاتي فارهة الطول كستنالية الشعر وحينما صرت أمامها قدمها صديق لي :

ـ الآنسة سميحة .. اولى طب .

وتم التعارف وتطورت صداقتنا بعد ذلك . التقيت بها خارج الكلية وفي السينما وفي المطاعم والنزهـــات والرحلات العامـــة والخاصة .

وشعر قلبي بميل نحوها وتطورت الصداقـــة الى حب عنيف وما ان انتهينا من دراستنا حتى تقدمت لوالدها طالباً يدهـــا وتم زواجنا واثناء احتفالنا بالزفاف اذ بي افاجـــأ بتلك الحسناء ، حسناء الاتوبيس . لقد أذهلتني المفاجـــأة وسألت العروس أو سألت الصورة عن الاصل .. سألت سميحة عن هـــذه الحسناء فأجابت :

ـ انها ابنة خالتي المتزوجة من المهندس عز الدين أشرف وتقيم

في بور سعيد . ألا ترى انها تشبهني . . .

فضحكت في سخرية وقد صعد الدم الى وجهي .

فنظرت الي سميحة ورأت حالي فسألتني في فزع :

ــ ماذا بك يا عبد اللطيف ؟!

فقلت محاولا أن اخفي ما حل بي :

ــ ان هذا أمر ما كنت أتوقعه .. انسانة تشبهك الى هذا الحد .

فضحكت سميحة ونادت عليها باسمها :

ــ سهير ... سهير ..

وتعارفنا وانتهى الحفل وذهبت سهير الى بلدها أو الى زوجها وبقيت لسميحة تفيض علي من بحر حبها ما جعلني أنسى كل شيء ما عداها . سميحة زوجتي الوفيه البارة . كان رائـــدي في الحياة التفكير بعقلي لا بقلبي .

فقال الدكتور عادل في استغراب :

ــ لولا انني لم اعتد منك المبالغة في حديثك لظننتك تنسج قصة من خيالك .

ونهض الدكتور عبد اللطيف ثم قال :

ــ كل انسان يا صديقي معرض لان تمر عليه تجربة في حياتـه ان لم تكن تجارب .

ونظر الى ساعته واستطرد قائلا :

ــ لقد أطلت جلستي معك فالى الغد . أراك في المستشفى .

١٤

الايام ... والاشهر تمر بسرعة ، وعلاء غارق في كتبه للحصول على الشهادة النهائية في الجامعة . وكان جميع اصدقائه يذهبون لممارسة الانزلاق على الجليد ، رياضتهم المفضلة ، ويطلبون منه مصاحبتهم ولكنه كثيرا ما يرفض معتذرا برغبته في المذاكرة الى ان اجتاز الامتحانات وقرب موعد عودته الى وطنه . ومر عليه اسبوع سعيد وهو يذهب كل يوم الى المحلات التجارية لشراء هدايا لوالده وعمته وعهد . ولم يجد صعوبة تذكر في انتقاء هدايا والده وعمته وانما وجد الصعوبة في اختيار هدية عهد ، الى أن استقر أخيرا على خاتم قد نقش عليه حرفان من اسميهما .

ذهب علاء للقاء اصدقائه في الجامعة وقابل هناك ليزا وصديقة لها فالقى عليها التحية .

وقالت له ليزا بلهجتها الفرنسية المكسيكية :

ـ لا بد انك ضمنت نجاحك يا علاء .

فرد عليها بابتسامة قائلا :

. . ارجو ذلك .

ـ لن يضيع الله مجهودك سدى .

ـ اشكرك يا ليزا واتمنى لك النجاح .

وتنهدت ليزا وقالت :

ـ اتمنى ذلك حتى اعوض السنوات التي رسبت فيها .

ـ لا تحملي هما فاني متأكد من نجاحك .

فقالت دون ان تنظر اليه :

ـ سأسافر الى المكسيك بعد ظهور النتيجة وسأشتغل هناك حيث الذكريات الطيبة .

فقال لها علاء مشجعاً :

ـ ارجو لك التوفيق .

ولمعت الدموع في عيني ليزا لهذه الذكرى .

ونظر اليها علاء وصديقتها في تأثر بالغ !

ثم قالت صديقتها :

ـ انك تكتمين سرا رهيبا كم وددت معرفته ولكنك دائماً غامضة يا ليزا .

وهنا جحظت عينا ليزا والقت على صديقتها نظرة عتاب تحمل اكثر من معنى ولم تتلفظ باي كلمة .

فقال لها علاء محاولا تغيير مجرى الحديث :

ـ يا ليزا ستذهب الشلة الى الانزلاق على الجليـــد وقررت الذهاب معهم فما رأيك لو حضرت معنا ؟

وسكتت ليزا ثم قالت وهي تلفظ كل كلمة بمفردها :

ـ للانزلاق ؟ .. سألحق بكم ان استطعت .

وتابعت طريقها ومعها صديقتها . ووقف علاء ينتظر اصدقاؤه وهو يفكر في كل شيء . يفكر في عودته الى بلاده واهله ويفكر في عهد ، حلم طفولته ، واخذ يفكر في ليزا تلك الفتاة الحزينة . يا لها من فتاة غريبة الاطوار. لقد قست الدنيا عليها في اول ايامها. لقد لمس في نبرات صوتها وفي نظرات عينيها التائهة بأنها وحيـــدة تخاف المستقبل وتخشى غدر الايام . لقد قالت له يوماً بعد خروجه من المحاضرة :

ـ اني اعيش ليومي يا علاء ، فمن يدري ماذا يكون غد ؟..

وشعر علاء في ذلك اليوم كم هي تحاول أن تصعب حيـــاتها وراوده فكره بأنها ستجد يوماً حلا لحياتها هذه ..

وبينما هو كذلك .. شارد الفكر اقترب منه أحـد أصدقائه وقال له :

ـ الاصدقاء في انتظارك ..

وصلوا الى مكان أكثر ارتفاعاً من المعتاد ، وشعر علاء بالبرودة تسري في جسده ولكنه سرعان ما استعد للانزلاق .

وانطلق الجميع في نشوة ومرح ومرت الساعات وأخذ علاء وصديق له يتسابقان ، وما هي الا لحظة حتى دوى صوت صديقه في اذنه :

– علاء .. علاء قف انك مقبل على هاوية وحاول علاء ان يقف ولكنه لم يستطع .

لقد كانت سرعته اقوى من ان يسيطر عليها بالوقوف . وفجأة شعر بجسده يهوي وبهتت الصور امامه فأصبح لا يرى غير اشباح .. وبعد ذلك لم يشعر بنفسه .. لقد غاب عن كل شيء ..

نام علاء على سرير في مستشفى الجامعة ولم يكن يحس بجراح ولا برضوض من اثر البنج الذي تعاطاه . لقد كان في غيبوبة لا يشعر بما حوله . وكانت الغرفة مسدلة الستائر ولم يكن فيها غير ضوء خافت وبرافان وضع امام الباب من الداخل ونتيجة تقويم معلقة على الحائط ومقعدين بجانب السرير .

وما هي الا ساعات حتى افاق علاء وجال ببصره فيما حوله فوجد السيدة العجوز تجلس عن يمينه وقد ظهر عليها الحزن ، وعن يساره جلست ليزا شاحبة اللون . وما ان رأته يتحرك حتى هبت واقفة دون ان تتفوه بكلمة وخرجت من الغرفة وبعد لحظة عادت ومعها الطبيب المعالج والممرضة .

واقترب منه الطبيب وعلى شفتيه ابتسامة واسعة ووضع يده على اذن علاء المضمدة برباط ابيض .

وما ان شعر علاء بيد الطبيب حتى صرخ في الحال وفقد وعيه. واخذ الطبيب يسعفه ويعيده الى رشده وطلب من الجميع ان يتركوه وحده حتى يستريح .

واخبر الطبيب ليزا واستاذها الذي حضر يستفسر عن صحة علاء بما اصيب به علاء وقال :

ـ لقد اجريت له عملية جراحية . لانه اصيب بارتجاج في المخ من اثر الصدمة تسبب عنها شلل في العصب الثامن عصب السمع وسيحتاج الى علاج طويل والامل في شفائه خمسون في المائة .

فخرجت صرخة من ليزا :

ـ يا لها من كارثة . يا الهي لماذا حدث له كل ذلك ؟ .. لم يبق على عودته الى بلده غير اسبوع .

فقال الطبيب :

ـ يجب ان تخبروا أهله بما حدث .

فرد عليه استاذ علاء في تأثر بالغ :

ـ انه شاب ممتاز وليرحمه الله ويعد اليه سمعه ، وسأبرق لوالده فورا .

***

جلس والد علاء بجانب وحيده بالمستشفى وهو في حالة

ذهول تام لا يفيق منه إلا ليعود الى ذهول اشد واخذ يهذي بكلمات كالهموم :

– ولدي لقد كنت سببا فيما اصابك .

لقد جنيت عليك . لقـــد كنت تعارضني في مجيئك وكأنك تعرف ما يخبئه لك القدر . يا رب انت اعلم بحالي مني فكن رحيما بولدي .

وانهمرت الدموع من عينيه وسالت على وجه علاء . فنظر هذا إلى والده في شفقة وحنان بالغين وقال :

– هون عليك يا والدي . وعلام تبكي وانا بخير والحمد لله .. لقد سببت لك شقاء وعناء .

وحاول علاء ان يخاطب والده وان يخفي آلامه واوجاعه حتى لا يزيد في آلام والده .

وانهمرت الدموع من عيني الوالد المسكين وشعر بالانهيار من اثر كلام ولده ولم ينبس بكلمة واحدة . واخذ يربت على كتف علاء وهو يشعر بالاسى ونهض خارجا من الغرفة .

نظر علاء إلى سقف الغرفة وكأنهـــا شاشة سينما يعرض عليها شريط حياته وما فيها من مواقف ، حتى انتهى إلى قبيل الحادث بلحظات وكيف كان يمارس رياضته هذه في سرور ونشاط . ثم اخذ يسائل نفسه : كيف حدث هذا ؟ .. سبحانك اللهم ربي ، لا راد لقضائك ، ولا معقب لحكمك .

ولكن لماذا يختارني القدر من بين لداتي لهـــذه التجربة القاسية ؟ .

ترى كيف اعيش اصم ؟ كيف اعيش دون سمع ! أهكذا يا رب احرم من هذه النعمة بل من هذه النعم !

اذن لن اسمع زقزقة العصافير ولا هديل الحمام .. ولا اصوات الموج المتلاطم على الصخر ولا صوت عهد ! يا لها من قسوة .. يا لك من قدر لا يرحم .. لم كل هـــذا ... ولم اخترتني بالذات ؟ ان كنت اقترفت ذنبا استحق عليه هذا فما ذنب والدي وما ذنب عهد ؟ ..

مسكينة عهد . وتناول خطاباتها وراح يعتصرها بين يديه . وشعر بان الامل ضعيف وان القدر ضرب ضربته وحكم عليه بان يرى مصرع حياته بعينيه .

لقد قضى هذا الحادث على آماله واحلامه وطموحه .

ودخلت عليه ليزا وهو في هذه الحالة . فسلمت له ورقة ملفوفة بشريط اخضر وما ان رآها علاء حتى استرجع هدوءه واخذها من يدها وقرأها ثم قال :

— ليزا اشكرك من كل قلبي . لقد اتعبتك معي وان شهادتي بوصلتني في الوقت غير المناسب .

واخذت ليزا من جانبه ورقة وكتبت له ما تريد ان تقوله :

يا علاء لقد بدأت اقتنع بكلامك الذي كنت تقوله لي . ان

الحياة جميلة فلماذا يشوهها الانسان بتصرفاته . وان كل مصيبة تصيبنا لا بد ان نتقبلها بصدر رحب ، ولقد رسبت في هذا العام ومع ذلك لا اشعر باليأس ، وسأحاول مرة اخرى . اما انت يا علاء فتحمل الماجستير في الآداب ، وامامك مستقبل حافل فلا تجعل اليأس يتغلب عليك . ولقد اخبرني الطبيب بانه يوجد امل في شفائك . فبصبرك تستطيع ان تصل إلى نتيجة طيبة .

ومضت اشهر وعلاء يتردد على المستشفى للعلاج دون ادنى فائدة . ثم اشار الاطباء على والده بان يسافر إلى لندن حيث يوجد هناك طبيب جراح باهر ربما يستطيع ان يعالجه . فلم يتردد علاء في قبول السفر إلى لندن .

وقفت ليزا والعجوز في المطار تودعان علاء والاسى يفتت قلبيهما والدموع تنساب من مآقيهما في غزارة وتتمنيان له عاجل الشفاء والعودة سالما إلى اهله ووطنه .

واخذ علاء يبادلهما الدموع بعينيه وكل ما حوله صامت .

جلس علاء بجانب والده في الطائرة واخذ يردد لنفسه في صمت رهيب ما حدث خلال الاسابيع التي مرت عليه في لندن .

اجل انه يذكر ما كتبه له الطبيب في التقرير .. انه لا يمكن ان يجري له عملية الان ، وعليه ان ينتظر سنة على الاقل. واخذت

علامات الاستفهام ترتسم على قسمات وجهه .. هل يصدق هـــذا الطبيب ؟

هل سيعاد له سمعه ؟ .

وهل يعيش سراب . وامل كاذب ؟

انه يجب ان يتغلب على الضباب الذي يخيم عليه وعلى آلامه وعذابه . يجب ان يتجلد ويصبر في شجاعة وايمان على مواجهة اقسى ظروف الحياة . وتذكر ذلك الكابوس الذي كان يراود عهدا وكيف انه حينما كانت تقصه عليه يظهر لها عدم الاهتمام به ويضحك ملء شدقيه على مخاوفها . ولكنه تحقق وشعر بالضيق يغمر صـــدره والقى نظرة على النافـــذة واخـــذ يراقب السحب الداكنة التي تمر بها الطائرة . ونظر الى ساعته . انه لم يبق على وصوله إلى القاهرة غير ساعـــة واحدة . وشعر بالحنين الى عهد ولكنه شعر بالاشفاق عليهـــا من نفسه .. من مصيره المظلم المؤلم .. فهو لا يملك الان سوى الشقاء ... والعذاب.. ولا يريد ان يشقيها ويعذبها ويكفي ان يتعذب وحده .

فهو الان لا يستطيع ان يقدم لها السعادة التي كانت مرسومة في خياله ، ولن يكون انانيا بل يدعها تعيش بعيدة عنه خيرا من ان تعيش مع انسان اصم ، لا يستطيع ان يسمعها ويناجيها .. وشعر بمرارة في داخله ورجفة تمتلكه لهذه الكلمة . اصم .. فاخذ

يقطع عهدا على نفسه بان لا يحاول ان يتصل بها او يجعلها تشعر بوجوده .

ومضى الوقت عليه محاولا التجلد والتماسك وهو يحس بقلبه يتفتت ، وسيلا من الدموع الصامتة ينهمر من مقلتيه.

١٥

جلست عهد على الصخرة التي شاهدت ابتساماتها وسعادتهـــا وذكرياتها ودموعها .

كان الجو ثقيلا حارا تتوتر له الاعصاب ، وتوقف الهواء تحت السماء وفوق الارض ، واشتد لهيب الشمس فاصبح الجو خانقا . ولكن عهدا لم تبال لهذه الحرارة ، فقد كانت وحيدة ثم انساب صوتها خافتاً :

– حبيبي هل تسمعني ؟ هل تشعر بي ؟ اظنك تعرف مكاني . كيف اكون هنا ؟ ولا اعرف اين انت ؟

– اين انت يا حبيبي ؟ ولماذا نأيت عني ؟ واي ذنب جنيته ؟ إنني لا ادري عنك شيئا . اي وربي .. ما هذه القسوة . . ماذا افعل .. لقد احببتك اكثر مما احببت نفسي ، ولكن ماذا افعل والحياة تسقيني كؤوس العذاب .. سامحك الله يا حبيبي لما سببته لي من عذاب يوم خلفت موعدا كان سيكون يوم عمري

السعيد ...

وشرد ذهنها فانطلق الى الذكريات ، واخذت الدموع تتساقط في صمت ، وأخرجت خطابات علاء من حقيبتها واخذت تطالعها واحدا بعد الاخر . وتوارت الشمس خلف الافق ثم هب الهواء آتيا من على صفحة الماء وامواج البحر العاتية ترتطم بالصخور في قوة .

ولم تكد الجدة تحس بوقع اقدام عهد حتى طلبت من الحاجة امينة مغادرة الغرفة كي تخلو بحفيدتها ، واشارت لعهد بالجلوس جانبها فجلست بجوارها .

وقالت عهد في صوت خافت :

ـ معذرة يا جدتي فقد سرقني الوقت وانا جالسة اراقب البحر وغروب الشمس .

فردت عليها الجدة بصوت هادىء :

ـ اني لا امانع في تأخيرك فثقتي بك لا نهاية لها ، ولكني اشعر بأنك تمرين بأصعب ايام حياتك . فلماذا هذا الوجوم ولم كل هذا الحزن ؟ لقد اصبحت لا اذوق طعم النوم من اجلك ، ولقد ظننت ان جو الاسكندرية سيغير من حالك ولكني اشعر بأنك تزدادين يوما بعد يوم في شرودك . لقد عافت نفسك الطعام وقل نومك واصبحت هزيلة نحيلة ولست ارى لذلك سببا !

لقد سألتك مرارا ان تصدقني القول ولكني اراك متمسكة بأن الكابوس هو سبب حزنك وآلامك . ولقد قال لي الدكتور عادل بأن ما يحدث لك كل ليلة ما هو الا صراع في العقل الباطن ، واني أشعر بأن هناك اشياء اخرى تخفينها علي .

فقالت عهد في شيء من الزجر :

ـ لقد اخبرتك يا جدتي بأنه ليس هناك ما اخفيه عنك .

فردت الجدة في شيء من الغضب :

ـ لن اجبرك بأن تقولي ما عندك ولكن احس بأنه سيأتي اليوم الذي تصارحينني فيه بما عندك .

وانتهى حديث الجدة عند هذا الحد ، وكان هذا اقصى ما استطاعت ان تقوله لكي تخفف عن عهد قلقها وتعرف ما في خاطرها . ولكنها فشلت ، وكل ما كان عليها ان تفعله بعد ذلك هو ان تدعو اصدقاءها الى بيتها كي لا تعطيها الفرصة للانفراد والوحدة .

ودأبت عهد على الذهاب كل يوم الى المكان المعتاد بين الصخور . حيث تبكي حبيبها الذي طال غيابه . وتطلب من الله ان يعيده اليها .

وتمر الايام ثقيلة بطيئة فتقرر الجدة العودة الى القاهرة وفي نفس اليوم تطلب عهد من جدتها العربة لكي تودع اصدقاءها ، وتذهب عهد الى صويحباتها وتودعهم وفي اثناء عودتها تشعر بحنين

جارف لوداع مكان اللقاء فتشير الى السائق بأن يذهب الى الرأس السوداء . ويتعجب السائق لطلبها ولكن ما عليه الا ان ينفذ الاوامر .

وهناك بجانب الرمال الواسعة الممتدة وقفت عهد حيث الذكرى واخذت حفنة من الرمال في يدها وقبلتها ثم وضعتها في منديلها ، والقت نظرة وداع على هذه البقعة الرائعة التي شهدت اجمل ساعاتها . وتوقفت العربة عن المسير امام بلاج سيدي بشر ، وجرت عهد تجاه الصخور تلحق الشمس التي لم يبق على غروبها غير لحظات ، وجلست على صخرة وتلمست بيدها مكان جلوس حبيبها وهي اشبه بالتائه الغارقة في دوامة لا نهاية لها . ثم اصابتها نوبة بكاء حارة ورفعت يدها الى الله هاتفة مستضرعة :

— يا الهي .. اني لا اطلب منك إلا أن تعيد حبيبي إلي ..

وسجدت ترتل الدعوات ومر الوقت عليها دون أن تشعر به . ونهضت من مكانها متخاذلة خائرة القوى لا تقوى على السير وحدها فنظرت الى صفحة الماء تحملق فيه وتطيل النظر كأنها تبحث عن عزيز لديها فقد فيه .

تعجبت الجدة لتأخر حفيدتها وأخذت بوادر الغضب تظهر عليها ، وما ان وصلت عهد حتى تلقتها جدتها بنظرة عتاب قائلة :

ـ لقد تأخرت يا عهد وانت تعلمين اني لا احب السفر بالليل .
ولم تنتظر من عهد جوابا وانما قالت :

ـ هيا بنا حتى لا نتأخر اكثر من ذلك .

وبعد وصولها القاهرة بيوم ، اتصلت الجدة بالدكتور عادل وطلبت منه ان يمر عليهم فلم يمانع ، خصوصا وقد طال به الشوق وجذبه الحنين لرؤية عهد .

وصل الدكتور عادل الى منزل عهد فقابلته الجدة بالترحاب واخذت تعتب عليه لعدم سؤاله عن عهد طوال هذه المدة فانتحل لها اعذارا وهمية .

ودخلت عليهما عهد وقد هزل جسمها واصفر وجهها وظهر السواد بين عينيها ، وما ان رآها الدكتور عادل حتى تسمر في مكانه وهو في دهشة واستغراب لما اصاب عهد ..

ثم قال لها في رفق :

ـ يبدو ان المصيف هذه السنة لم يوافقك يا عهد ؟

قالت له في صوت مخنوق :

ـ لقد اشتد الحر هذه السنة في الاسكندرية .

وظل صامتا يحدق النظر في اصفرار وجهها !

ونظرت اليه ثم قالت وكلماتها تكاد تختفي في انفاسها :

ـ دكتور عادل ، اني اشعر فعلا بالضعف والاعياء ، فهل هذا ما كنت تريد ان تقوله ؟

– نعم يا عهد، اني اريد ان اقول لك انك لا تهتمين بصحتك، وبصفتي طبيبا سأضطر انا الى الاهتمام بصحتك .

فاستراحت الجدة الى هذه الفكرة وقالت :

– اشكرك يا ولدي . نحن دائما نسبب لك المتاعب.

وسكت الجميع ولم يعلقوا بشيء ..

واستمرت عهد تستقبل الدكتور عادل الليلة بعد الليلة يجلس معها يسرد عليها الاخبار التي يسمعها او يراها ويعطي لها الحقن المقوية والارشادات الطبية التي هي في حاجة اليها .

١٦

وقفت عهد في الشرفة المطلة على الحديقة تراقب غروب الشمس وقد هبت نسائم رطبة ندية تحمل اريج الازهار فتستنشق منها ما وسعها . وما ان دقت ساعة الحائط الموجودة بالبهو معلنة السابعة حتى شعرت عهد بصوت خافت يهتف باسمها :

— عهد ... عهد ...

وبلا وعي هتفت بدورها :

— علاء .. علاء .. علاء ..

وارتبك الدكتور عادل وهو خلفها وقد احتقن وجهه، وماهي الا لحظة حتى شعرت به وقالت في فزع :

- انت الذي ناديت علي ؟!

وهز رأسه بالايجاب فخجلت منه وقالت :

آسفة .. لقد توهم .. لي ..

ثم سكتت واندفعت في البكاء بحرقة قاتلة .
واحس الدكتور عادل بالاشفاق عليها وقال لها :

ـ ماذا بك يا عهد ؟ ماذا جرى ؟

فقالت وهي تنتحب في البكاء :

ـ لقد انتهى كل شيء ولم يبق سوى الذكرى ..

ولم يحاول الدكتور عادل ان يسألها عن شيء ولكنه اخذ يهدىء من روعها بكلماته العذبة الرقيقة .

كانت ليلة ليلاء استلقى فيها الدكتور عادل على فراشه يحاول النوم ولكن دون جدوى . لقد انتابه الارق والسهاد . وراودته الخيالات والافكار ، ومرت به ساعات الليل بطيئة ثقيلة يفكر في عهد وحزنها العميق الذي يكسو وجهها الجميل . واخذ يتردد على سمعه صدى صوتها وهي تهتف باسم علاء . ترى من يكون علاء؟ واين قابلها ؟

لقد ظهر له انها تحبه بكيانها ، ولكن هل علاء يبادلها ذلك الحب ام انه على غرار شباب العصر يتسلى بها كما تسلى من قبل بغيرها .. لا بد انه كذلك والا لما بدا عليها ذلك الحزن العميق . اين انت يا علاء حتى انتقم منك .. لقد تسليت بقلب صغير لم يعرف تجارب الحبين من قبل .. سوف ألقنك درسا في الاخلاق . ودفعته شهامته الى التفكير في وسيلة يخفف بها عنها ذلك اليأس ... وذهنه يفكر بسرعة كيف يبدأ لكي

ينسيها الماضي وآلامه .. وخيل اليه ان الله قد اختاره لينتشلها مما هي فيه حتى تعود الابتسامة الى شفتيها . ولكن كيف السبيل الى ذلك ؟

لقد رأى ان خير وسيلة لذلك هو اصطحابها معه في نزهاته ورحلاته وان يغمرها بهداياه الجميلة . وشعر بالراحة تسري في جسده . لقد انبثق نور أمله فبدد ظلام يأسه .

في مساء اليوم التالي دخل الدكتور عادل منزل عهد وهو يحمل لها الهدايا وفي نفسه فرحة ظاهرة فوجدها جالسة هادئة النفس تقرأ كتاباً ، فاندفع نحوها يقدم لها ما يحمله من هدايا وهي صامتة لا تعرف كيف تتصرف . وقال في تواضع جم :

ـ املي كبير في قبول هديتي المتواضعة .

فردت عليه بصوت خافت :

ـ ولكن هذا كثير . لماذا أرهقت نفسك بشراء كل هذه الاشياء ؟ ..

قال :

ـ ليس هناك شيء كثيرا عليك يا عهد فأنت تستحقين كل خير .

واكتفت بأن تبتسم ابتسامة تحمل له كل آيات الشكر .

قال وهو يشعر بالغبطة :

ـ اني يا عهد لا اريد أن أراك وحيدة بعد اليوم سأمر عليك كل ليلة لكي نذهب للعشاء في الخارج .

قالت :

ـ وجدتي ؟ .

قال :

ـ تذهب معنا . والآن أخبريها بأننا سنذهب جميعا الى النادي .

وقالت في تردد :

ـ ولكني لا اميل للذهاب الى النادي .

قال في اصرار :

ـ أنا لن أتركك وحيدة. يجب أن تخرجي يجب أن تتمتعي بالحياة .

قالت في ضعف :

ـ اني أخاف .. من ..

ـ مم تخافين ؟

قالت والدموع تطفر من عينيها :

ـ من الحياة ..

قال :

ـ ولكن الحيـــاة لا خوف منها ان تغلب الانسان على

مشاكله .

قالت :

ـ اني افضل الوحدة ..

قال في غضب :

ـ اذن أنت تحاولين الهروب من الحياة والحياة جميلة مغرية بكل ما فيها من مشاكل .

وظلت عيناه مسلطتين على عينيها وكأنه يخترق بنظراته اغوارها ويستنشف ما في أعماقها . ثم همس في رفق وما زالت عيناه تسكبان في عينيها معاني كثيرة :

ـ يا عهد ، يجب أن تواجهي الحياة على حقيقتها فتهدئي وتستريحي .

فقالت وهي تحاول اقناع نفسها بكلماته :

ـ سأحاول .. سأحاول ..

ولبت عهد وجدتها دعوة الدكتور عادل الى النزهات والحفلات ، واحست عهد في بادىء الأمر بالضيق والغربة ولكن شيئا فشيئا استطاعت أن تطرق أبواب الحياة بشخصية اخرى غير التي تشعر بها في كيانها . وأخذ الدكتور عادل يملأ فراغ حياتها ويزيل وحشة روحها بما كانت تلقاه من مجاملات واطراء بجمالها واناقتها وذوقها . ولكنه لم يستطع أن يمحو ذلك الحنين الجارف والحب الكبير الذي يملأ قلبها . وكانت حين تجلس

في غرفتها وتنفرد بنفسها تصيبها نوبة ضحك وبكاء في آن واحد ، ثم تدفن رأسها الصغير في الوسادة وتترك صور الذكريات تقتحم خيالها وكانت فرحة عهد برجوع والدها لا توصف وخصوصا بعد أن علمت بأنه سيقيم معهم لانه احيل الى الاستيداع .

قرر والد عهد أن يذهبوا الى مصيف مرسى مطروح للتغيير ، ورحبت الجدة بالفكرة وشجعته حين عرفت بأن الدكتور عادل سيتبعهم بعد أيام ليقضي معهم اجازته . وأخذت الأيام تمضي بعهد وهي في مرسى مطروح مع والدها وجدتها اللذين يغمرانها بعطفهما وحبهما . وكانت كلما ذهبت عهد الى البحر في الغروب تذكرت ما مضى بها وما هي عليه .

ترى أين علاء الآن ؟ أيكون قد نسي حبه الكبير ؟ ونسي الايام التي تعهد حبهما ... ونسي الأوقات الجميلة التي باركت غرامهما .. ونسي انها كانت تعيش في سعادة ، لحظات تلاقيهما . انها لم تنسه ولكن الحياة دفعتها الى التظاهر والنسيان ومع ذلك فهو في قلبها وحبها .

لقد رسم القدر ... خطوط حياتها بيده ، وفرض سلطانه عليها وحال بينها وبين المحب .

رسم القدر طريق عمرها بريشة سوداء وظلله بحلكة قاتمة ففرق بينها وبين الذي يعيش في خاطرها وعلى أجنحة روحها

وفي أعماق صدرها وسويداء فؤادها . أما روحها وحبها . أما آمالها العريضة . . فقد ضاعت كلها في صحراء صبابتها المملة .

ان كل شيء سار بعكس ما أرادت . لقد كانت تنتظر علاء طوال هذه السنين لكي تشاركه حياته . . كي يجتمع حبها في بيت واحد . . ولكنه تخلى عنها في الوقت الذي شعر بأنه مقيد بالزواج منها . انه فعلا ممثل ممتاز يجيد أدوار الحب وبلاغة القول ومعسول الكلام .

وشعرت عهد بأنها كانت مع علاء في وهم كبير جميل . ان حبه ليس الحب الذي تعرفه وتؤمن به . . الحب إيثار . . وهل الإيثار الا معدن النفوس الكريمة ! . . الحب بذل . . وهل البذل الا من القلوب الوفية الرحيمة ! . وهل في قلب علاء شيء من هذا . . وفجأة خطر على بالها الدكتور عادل انه هو ذو القلب الوفي الرحيم ، فكم هي تحترمه . ولقد زاد احترامها له واعجابها به خلال الأيام الأخيرة الماضية .

وكم كانت تتمنى لو قابلته قبل أن ترى علاء ولكن لماذا لا تجرب حظها مع الدكتور عادل . . انه مثل طيب للرجل الكامل . انه يسعى لكي يحقق لها كل ما تريد . ولم تر منه أي تردد حينما تقترح عليه شيئا ترغب فيه . . كل همه أن يرضيها ويدخل السرور الى قلبها . وتذكرت ذلك اليوم الذي

رفضت أن تقبله زوجا لها ، وشعرت بأنها أخطأت لرفضها وتعجبت من تفكيرها : كيف يتجه الى الدكتور عادل ! مع أن قلبها يهيم بعلاه حبا .. وأخذت تتقلب على الذكريات الماضية كأنها تتقلب على أشواك .. وسقطت الدموع على خديها .. دموع الحيرة ..

ومرت السنين تارة تشقيها .. وتارة تسعدها .. تشقيها حينما تتذكر الماضي القريب ، وتسعدها بالدكتور عادل الذي يتفانى في اسعادها ويجلب السرور الى نفسها . وسارت أيامها سيرا رتيبا تنعم بحب والدها وجدتها ومعاملة الدكتور الطيبة وكأنها رتبت حياتها على هذا المنوال ، الى أن أخبرها والدها بأن الدكتور عادل قد خطبها منه وقد أعطاه كلمة وهو يرجوها أن تحترم كلمته . وتم عقد القران كأبهج ما يكون ، وشعرت عهد لأول مرة وبعد مدة طويلة بخفقة فؤادها في سكون ، وبهجة خاطرها تضيء في الظلمة . وأحست كأن روحها تحاول أن تحلق في أجواء الفضاء .. أجل ظهر الدكتور في افق حياتها بعد العذاب ظهور الصبح يبدد عتمة الليل ، أو القمر يستنير طريق الجادة في قفار الصحاري .

وانقضت الشهور شهرا عقب آخر والدكتور عادل يعتبر نفسه أسعد الناس جميعا . فقد بدأت عهد تجاريه عواطفه وتعامله معاملة الحبيب لحبيبه ، وظهرت عليه امارات البشر والسعادة التي اثلجت صدره وأسعدت قلبه وأضاءت ظلمات حياته .

١٧

وطالت أيام عقد القران . فقد مرت الأيام بعد عقد القران بطيئة وبات والد عهد وجدتها يتعجلان يوم الزفاف وقد هيأ الدكتور عادل منزل الزوجية الا أن عهدا كانت تؤجل موعد الزفاف بحجة أنها تريد اتمام تعليمها الجامعي . وساور القلق الجدة وحاولت عبثا ان تعرف من حفيدتها سبب مماطلتها . وكانت عهد نفسها لا تعرف لماذا تماطل في اتمام الزفاف . لقد وافقت بارادتها ليكون الدكتور عادل زوجا لها وشريكا لحياتها ، ولا تنكر اعجابها به ولا تستطيع أن تنكره ، فقد بدت الفرحة في عينيها وأعين الجميع يوم عقد القران . لقد كانت ترى فيه الرجل الكامل وكانت تعتقد أن الزمن كفيل بأن يحول اعجابها به الى حب ، ويحله من قلبها محل علاء . ولكنها شعرت في قرارة نفسها بأنها ظلمته معها ، لأن قلبها لا زال يخفق بحب علاء وذكرياتها معه ، وأخذ ضميرها يؤنبها فصارت تماطل في تحديد موعد الزفاف

وتنتحل الاعذار ..

فلما أفصحت لها جدتها عما يساورها من قلق لمماطلتها المستمرة أطرقت عهد برأسها مفكرة ثم قالت :

ـ لا أدري يا جدتي كيف أبدأ لك الكلام ..

اني أشعر بخوف من الايام المقبلة ولقد ظلمت عادل معي .

فقالت الجدة في فزع بالغ لم يخف على عهد :

ـ ماذا تقصدين ؟

ـ لا أدري . انما أشعر بأنني ظلمت عادلا .

قالت الجدة في حزن :

ـ يا ابنتي دعي عنك كل هذه الأوهام ولا تورطي نفسك في مشكلات أنت بعيدة عنها .

واعتدلت عهد في جلستها وقالت :

ـ كان علي أن اؤمن بالقدر وان أصبر على حكم الله واغلق قلبي دون الحياة لكي لا أسمع خفاقا ولا أحس وجودا .. ولعل من أصعب الأشياء على الانسان أن يكون صريحا وأن يعلن رأيه وخبايا قلبه ويتحمل عبء هذا الرأي .

مرت الساعات طويلة بطيئة وعهد تحكي لجدتها كل شيء مر بها .

علاء وحبه .. وكيف انها أحبته باحساسها وكيانها وايمانها .. كيف أحبته بقلبها وروحها وكل وجودها ..

سمعت الجدة ما كانت تريد أن تعرفه من زمن . وجلست مغلولة اليد مشلولة التفكير ترى آمال حفيدتهـــا تتحطم على صخرة حياتها القاتمـة ، وكيف أن القـدر أبى على نفسهـا أن تستقر وعلى ضميرها أن يهنأ .. ولكنها الآن زوجة .. ورأت الجدة أن تكون حازمة معها ولا تنساق وراء عواطفها . فقالت لها في حزم :

ـ لقد تركت لك يا ابنتي الحرية في الحـ ويـ . ووثقت فيك كل الثقة ولم يدر بخلدي أن تندفعي في حب فتى طائش أهوج يتلاعب بقلوب العذارى . فكم من فتاة قبلك أوقعها في شباكه ، ولست بآخر فتاة تقع في حبائله .. انك صغيرة قليلة التجربة في هذا الحب الذي تدعينه . انه ـ ليس أكثر ـ الانزلاق الذي يهوى فيه الشباب ويجنون به على أنفسهم . ان الحب الامثـــل يكون وسيلة للرباط المقدس أو ثمرة له ، فكيف تتركين نفسك لتقعي في شباك مراهق من المراهقين وأنت الفتاة العاقلة ، والفتاة بحكم جنسها عرضة لتزل بها القدم ويهوي بها الحظ فتتخبط في دياجير الحياة تخبطا يفقدها كيانها وسمعتهـا ومكانتها ، وتصبح بين الناس مذمومة لا تذكر الا مقرونة باللعنة ... وحتما ستتعرض لامتحانات قاسية وأولها تلك التي تمتحن فيها العاطفة وطبيعي أن تتحكم العاطفة الجامحـــة في التصرف فتطيش الفتاة عن صوابها اذا لم تسمع وتعمل بالنصيحـــة

الطيبة فارضي بما قسمه الله لـــك والتفتي الى زوجك ، وسيري الى جانبه في طريق العمر تري فيه الاستقرار وبناء عش الزوجية السعيد .

أحست عهد من كلام جدتها بأن سهما أصاب صدرها . وشعرت بأنها أخطأت حينما أطلعت جدتهـــا على السر الدفين الذي كان بين حنايا صدرها . ثم نظرت الى جدتها ولسان حالها يقول :

ـ سامحك الله يا جدتي .. كيف تقولين عن علاء انه طائش أهوج ، يتلاعب بقلوب العذارى ..

أواه يا جدتي .. لو رأيته انه شاب ذو خلـــق كريم وقلب طيب .. ذو رقة ونفس عالية .. والله ما احببته الا لما لمسته فيه من خصال حميدة عزت عند الكثيرين من أمثاله ولداته . ثم زمت شفتيها واسترسلت في خواطرها .. اننا نختلف يا جـــدتي كل الاختلاف .. فزمنك ولى بعادته وتقاليده وطرق تفكيره .. ان زمانك ماض وزمني مستقبل .. أنت ابنة الامس السعيد وأما أنا فابنة اليوم والغد .. والحياة في حركة دائـــبة وتطور مستمر ، وكل يوم جديد .. وجديد اليوم هو قديم غدا . لقد كان أهـــل زمانك يقولون عن الفتاة اذا خرجت في طلب العلم وارتياد دوره انها خرجت عن الاخلاق والفضيلة والعفة ، بالرغم من أن العلم هو الفضيلة بذاتها ، وهو الخلق والعفة . ان العلم هو الحياة .. الحياة

الصحيحة النافعة بكل معانيها . وان تعلم الفتـــاة واجب تتطلبه حياتها وحياة بيئتها ومجتمعها ووطنها . وكانوا يرون أن الفتـاة اذا أحبت كفرت وفسقت وفجرت ، وذبحت الفضيـــلة وتنكرت للدين وناهضت الاخلاق .. مع أن الحب يدعو الى الايمان والفضيلة ويناهض الاباحة ويربي في الانسان الشفقـــة والبر والاحسان .

وبدون وعي انطلقت تقول لجدتها :

– ان كل ما بيني وبين علاء مقدس طاهر ، ولقد اوضحت لك بصراحة مدى حبي له وكل ما أرجوه منك أن تدركي حقيقة موقفي .

ووجدت الجدة نفسها مندفعة ثائرة على حفيدتها الخارجة على التقاليد ، ودخل والد عهد فلزمت الجدة السكوت كي لا تشعره بشيء . وانطوت عهد على نفسها وهي ترى قلبها يذبح في معبد الجمود قربانا للتقاليد الموروثة .

١٨

أخذت الشمس ترسل أشعتها في أرجاء الحديقة الصغيرة وعلى الورود الحمراء المتناثرة وعلى الرمال الواسعة حول البيت الانيق الصغير . وتحت شجرة وارفة الظلال استلقى علاء وفي يده كراسة حمراء دونت فيها مذكراته وقد غلفت بغلاف أحمر ونقش عليه حرفان من اسميهما بطريقة فنية بديعة .

وأخذ يقرأ لنفسه ما خطه قلمه :

أيها الحبيب الوحيد ...

كنا وما أبدع يوم كنا
على الرمال . على الصخور
وفي البحر كنا

كانت الطبيعة تبارك حبنا ..

كنا ملكين انفلتا من السماء لينقلا الى الارض السمر في

المفاهيم ، والقدسية في العلاقة ، لينشرا أريج الحب العطر بين الذين دنسوا الحب بمفاهيمهم الخاطئة ونظراتهم الجاهلة .

كنا نحسب أن الدهر غافل عنا أو متغافل .. رحمه بنا .. شفقة على حبنا الناعي المترعرع على الرمال وفوق الصخور .. لم يكن يدور بخلدنا أن القدر ضنين يتربص بنا الدوائر ويحرمنا حنان الحب وفردوسه ويقذف بكل منا الى صحراء الحياة الموحشة وقد فرق بين جسدينا .. ولكن هيهات أن يفرق بين روحينا . وبعد فراق طال وسنوات مرت لم يرحمنا القدر وأخذ يلهو بنا وأصابني ذلك الحادث الذي حطم آمالي . لقد فقدت سمعي وحرمت من صوتك الملائكي الذي أحببته ولم يكن عندي أطيب من سماعه .. لقد كنت اسمعه نغما شجيا ولحنا عذبا تتجاوب له انشودة حبي .

أيها الحبيب ان في قلبي خفقانا كهدير الشلال المنحدر ، وفي عيني نور يكاد يخبو ، وفي صدري نصل حاد يمزق قلبي مع كل زفرة اطلقها ..

انك يا صغيرتي ... لا تعلمين ما بي .. وقد غيرت اسمي وشخصيتي وبعدت عنك كي لا اسبب لك الفجيعة .. ولكي لا تعيشي مع انسان عاجز أصم فآلمني أن أكون سببا لشقائك .

واني كل يوم أقف مكان لقائنا أراقب حبي دامع العينين حزين

النفس كسير القلب مجروح الفؤاد .. أجل أيها الحبيب الوحيد .. أردتك أن تبعد عني بدون ارادتي .

ان الحب الذي ربط بين قلبيناهو الذي دعاني للتخلي عنك طائعاً مختارا في سبيلك وسبيل حياتك ومستقبلك ..

بت ليلتي مسهدا اتمثل الفراق وألمه والبعاد وأذاه .. ابصر نفسي بعيدا عنك ، بعيدا عن القلب الكبير المؤمن ... نائبا عنك وكلي جراح ..

صغيرتي. ما زال الأمس أمامي كأن شمسه لم تغرب، وكأن ساعاته لم تنقض بعد .. وما زالت الصور الحبيبة الى نفسي تتراءى في خاطري..بل زال طيفك أمامي كاني ما زلت أعيش بالأمس.. بجوه .. بروحه .. بكل شيء فيه .

ما زالت عيناي تذكر عينيك الجميلتين ، وما زال بصري يرمق باعجاب شعرك الأسود ووجهك الفاتن ... آه من هذه الذكرى يا صغيرتي ! ..

سامحيني... لأنني سببت لك بعض الحزن لعدم معرفتك سبب مقاطعتي لك ، ولا أظنك ستنسينني أو تكرهينني .. لأن الحب لا ينسى ولا يكره .

أجل .. لا ينسى المحب محبوبه . وكيف ينسى وهو كل شيء في تفكيره ! . والمحب لا يكره محبوبه ، وكيف يكرهه وهو قد أحبه حبا جارفاً .. صادقاً ! .. اني كلما تحرك قلمي بين أصابعي

تحرك الشوق في الضلوع .

حبيبتي ... لا تظني اني جحدت حبك أو كفرت به .. اني احبك ، وسيكون حبي في الغد أقوى مما كان في الأمس وأقوى منه في كل يوم عن سالفه .. ولكنني آليت على نفسي أن يبقى مكتوما وأدفنه في صدري ولا أخرجه الى الوجود لكي أتركك تعيشين كما يحلو لك .

أيها الحبيب الوحيد ... اني أعيش مـــع احلامك ولكن هذه الأحلام تتلاشى عندما استيقظ من نومي واصدم بالواقع المر وألمس آثار الدموع وقد بللت الوسادة .. عشت أيامي كلها على أمل أن نلتقي في جنة الحب ونغترف من ينبوعه الدفاق . وكان عيشي كله بلا أمل .. سعادة .. وسعادة .. وألم وآلام .

تخيلتك في صورة القمر ، ورأيتك في رقة النسيم ، ولمست فيك روعة الصفاء وأحببتك ..

أحببتك ... بقلبي كله وعقلي كله . أحببتك عن عقيدة ، وأنزلتك في قلبي عن ايمان ، وابصرتك بنور حبي وروحي والهامي عن ثقة . ولكن رسم القدر لحياتنا خطوطا سوداء وأطاح بآمالي وآمالك ، وأصبح حبي لك بلا أمل وما أشقى المحبين بلا أمل .. أنهم يذرفون دموعهم ليلهم ونهارهم وهم يعلمون أنهم يسكبونها في أرض قاحلة جدباء لا تنبت لهم أي

سعادة أو هناء ! ..

لقد لعب القدر دوره بعد أن رسمه بخطوط سوداء قاتمة .. ولكن رغم ذلك سأعيش لحبي . فما افتقدت نفسي مرة الا وجدتها في محراب الحب تبكي على اطلاله .. ولا بحثت عن ذكرياتي الا وجدتها متبلورة في صورة واحدة : صورتك فوق عرش قلبي تحنو عليك أضلعي . اليك حبي الخالد .. اليك حبي المحلق بلا أمل ..

توقف علاء عن القراءة وطوى الكتاب حينما لمح صديقه شريف يقبل نحوه فابتسم له قائلا :

ـ لم أرك يا شريف أمس ؟ أقرأت مقالتي ؟ هل اعجبتك؟

فأخرج شريف أجندة صغيرة من جيبه وكأنه اعتاد أن يحملها كلما جاء الى علاء فأخذ يدون بعض الكلمات ..

ـ يا صديقي أما عن أمس فلا تسألني ، لأني كنت في حلم جميل مع جارتي ، لا تذكرني به الآن ، واما عن مقالتك فهي رائعة واعجبتني كما اعجبت بما كتبت من قبل ، فأنت عبقري وكاتب ممتاز ، وأشعر بالغيظ منك لانك تخفي شخصيتك الحقيقية تحت ذلك الاسم المستعار وهو أكبر جرم تتخذه تجاه نفسك .

فأخذ علاء يقرأ ما كتبه شريف ثم أجاب عليه :

ـ يا شريف لقد قلت لك مرارا اني مضطر لأن أغير اسمي

أمام الجميع لاسباب خاصة لا أود أن يعرفها أحد ..

وصرخ شريف بغضب ثم قال :

ـ لقد طال عذابك يا صديقي فأفصح بما عندك ترح نفسك .. أما يكفيك هذا العذاب .. والى متى !

ونظر اليه علاء وهو لا يسمع شيئا مما قاله شريف وانما أحس من انفعالات شريف في وجهه بأنه تأثر عليه .

وشعر علاء بالحزن الشديد لعدم سماع صوت صديقه فبدأ العرق البارد يتفصد من جبينه كأنه قطرات من حياته .. وبدأ وجهه في الاصفرار وأحس شريف بأن هناك غصة في حلقه ، أو كأن يدا تعتصر قلبه . وتملكه الحيرة وشعر بأنه آلم صديقه حينما تكلم وهو يعلم أن علاء لن يسمع ما قاله ، فنظر اليه نظرة اعتذار وابتسم حينما وقع نظره على الكتاب الملقى فوق الحشيش الأخضر ، وأدرك ان هذا الكتاب هو سجل سر علاء ، يحمل بين طيلته أسراره وذكرياته . انه ما زال يذكر أن صديقه حدثه قبل سفره عن فتاة أحبها ولكنه بعد رجوعه من اوروبا فاتحه من قبيل المزاح في أمرها ولكنه أخبره بأن كل شيء بينهما قد انتهى . ولكن .. لماذا صديقه يتصرف هكذا ، ألأنه ما زال يحب تلك الفتاة ، ولا يريد أن تعرف ما ألم به من نكبات ..

وأخرجه من تفكيره صوت علاء قائلا :

في يوم من الايام سأجعلك تقرأ ما بين دفتي هذا الكتاب .

فضحك شريف لذكاء صديقه وكأنه قرأ ما جال بخاطره .

وقال علاء وهو يحاول ان يرسم على شفتيه ابتسامة مزيفة :

ـ اتحب ان تصطحبني الى الكازينو المطل على البحر ؟ . ان الجو اليوم جميل .

واشار اليه شريف بالموافقة . وركبا عربة علاء الصغيرة وبينما هما في الطريق تذكر علاء أيامه الماضية السعيدة مع صديقه شريف في المدرسة وفي الرحلات والمصايف . انهما صديقان تتجاوب نفساهما بمعاني الصداقة النبيلة وتمتزج روحاهما في جو المحبة النقي السامي .

سارا تجاه الكازينو المطل على البحر وجلسا على المائدة التي يجلس عليها علاء كل يوم . والتفت شريف حوله فرأى بعض اصدقائه يجلسون بالقرب منهما ، وكان بينهم وجه جديد لا يعرفه ، فقام وحياهم جميعاً وقدم له ذلك الوجه الجديد باسم الدكتور عادل ، جراح الانف والاذن والحنجرة ، فتملكته رعشة خفية والقى نظرة على صديقه علاء في جلسته الحزينة شارد الفكر . فقال شريف موجهاً كلامه للدكتور عادل :

يا دكتور عادل ان لي الشرف العظيم بمعرفتك . ولي مسألة خاصة اريد ان استشيرك فيها .

فرد الدكتور عادل في اتزان :

ـ أنا في خدمتك .

فقال شريف :

ـ يهمني ان اقابلك في مكان آخر .

فقال الدكتور عادل وقد بدا على وجهه الاهتمام :

ـ اني حضرت الى الاسكندرية لقضاء يومين فهل يمكنك ان تقابلني غدا ؟

فقال شريف :

أين أجدك في الصباح ؟

قال الدكتور عادل :

ـ ستجدني في عيادة الدكتور احمد راضي صديقي .

فقال شريف :

ـ اشكرك يا دكتور وسأمر عليك في العاشرة .

ونهض وصافحه وصافح اصدقاءه واتجه ناحية علاء الذي لم يشعر بما دار حوله وانما كان كل تفكيره متجها نحو عالم آخر. عالم الذكريات الحبيبة، والماضي الجميل والتفكير في المستقبل المظلم .

١٩

دخل شريف عيادة الدكتور احمد راضي ووجد الدكتور عادل ينتظره ، فرحب به أيما ترحيب وكأنه يعرفه من زمن طويل . وقد أنس شريف للدكتور عادل وتنفس الصعداء وقد عزم على مكاشفته بعلة صديقه علّه يجد عنده الشفاء .

جلس شريف واسترسل في حديثه :

ـ لقد جئت اليك في أمر يخص صديقاً لي يدعى عصام عزمي .

عصام عزمي الكاتب المشهور ؟

ـ نعم هو بعينه .. لقد فقد سمعه على اثر حادث من مدة خمس سنوات ، وقد عجز الاطباء وقتها حياله وأخبروه بأنه من الممكن بعد مضي سنة أن تجري له عملية جراحية لاسترداد سمعه ولكنه الآن عزف عن الاطباء جميعاً وآثر الصمم . لقد لازمه اليأس القاتل . وحين رأيتك بالامس توسمت فيك الخير

ورجوت ان تكون اليد الرحيمة التي تدخل عليه السعادة التي فقدها .

فقال الدكتور عادل في تأثر واهتمام :

– عصام عزمي عاجز أصم ! . . ان كتابته توحي بأنه يعاني آلاماً نفسية . ولكن أين هو الآن ؟

قال شريف :

– انه لا يعرف اني اتيت اليك ، وسيرفض كعادته المجيء اليك في العيادة ، لا كبراً ولا يأساً . فكل ما ارجوه أن تتفضل بالذهاب اليه ، واعتقد بأنه سوف يرى منك كل ما تمليه عليك انسانيك الرحيمة .

فنهض الدكتور وقال :

– لنذهب اليه الآن ، فأنا يسعدني معرفته وهو أحب كاتب أقرأ له .

فشعر شريف بالراحة ، وبعد برهة كانت العربة تقف أمام بيت علاء . وألقى الدكتور عادل نظره على البيت الانيق الصغير الذي يتوسط الرمال الواسعة وقال :

– يا له من بيت جميل وفي مكان غريب .

فضحك شريف وقال :

– أترى الفن كيف يعيش . .

فقال الدكتور عادل :

ـ انه آية في الفن والجمال والشاعرية والخيال .
فقال شريف :

ـ حين تدخل البيت سترى كل شيء ينطق بالروعة والجمال ..

ودخلا المنزل واستأذن شريف من الدكتور حتى يخبر علاء بقدومها .

جلس الدكتور بالصالون . . حجرة فسيحة فرشت بأثاث ان دل على شيء فانما يدل على حسن الذوق وبساطة النفس .

ولفت نظره جدرانها القزازية وقد اسدلت على ثلاثة منها ستائر جميلة الالوان تمنع تأثير حرارة الشمس ، وتركت ناحية منها تظهر الرمال الرائعة . وقد وضع في منتصف الغرفة منضدة عليها باقة من الزهور العطرة وقد نسقت بعناية خبير ذي حساسية ورقة ، ينبعث منها شذى يثلج الصدر وقد وضع كرسيان مريحان أمام المدفأة ، وفي ركن آخر وضع مكتب انيق عليه بعض الكتب وأقلام مختلفة الالوان وقد وضعت في تناسق واحكام ، وكأنما قصد من وضعها الزخرفة .

دخل شريف ومعه علاء الذي رحب بالدكتور عادل قائلًا :

ـ لقد اخبرني شريف بأنك طلبت مقابلتي فأنا سعيد بقدومك .

ـ اني معجب بكتابتك وكنت دائماً اتمنى مقابلتك والتعرف

بك .

فشكره علاء واخذ يحادثها عن كتابته والموضوعات التي يود معالجتها بقلمه . ومر عليهم الوقت والدكتور عادل وشريف يصغيان لعلاء في اهتمام ، واخذ الدكتور عادل يراقب علاء اثناء حديثه ويحاول تحليل نفسيته ، فظهر له انه يبدو عصبياً يعاني أزمة حادة ، فرأى أن واجب الانسانية يقتضيه أن يبذل كل جهده لمساعدته ويقوي رباط الصداقة بينهما اولا ، الى أن تزول الكلفة ويصارحه بأنه يريد فحصه وعلاجه .

ربطت أواصر الصداقة بينهما ، فكان كلما ذهب الدكتور عادل الى الاسكندرية حج ببيت علاء ونزل في ضيافته ، وكلما سافر علاء الى القاهرة قصد الدكتور عادل . ولم يلح الدكتور عادل على صديقه علاء بفحصه خلال هذه المدة الى ان جاء له علاء في يوم يشكو الماً في اذنيه .

فقام الدكتور عادل بفحصه باهتمام وطلب منه أن يعالجه بالاشعة ، ولم يمانع علاء. وبدأ في العلاج ، ومرت الاشهر والدكتور عادل يعالج صديقه علاء. ومن سخرية القدر أن يجمع بين الزوج والحبيب وكلاهما لا يعلم عن الآخر شيئاً . ولكن قضت ارادة الله أن يجتمعا ويرتبطا بصداقة قوية وكلا قلبيهما يخفق بحب عهد الفتاة المعذبة . ان قلبها فيه اضطراب وفي روحها ثورة . . فمن يوم أن فاتحت جدتها عن حبها لعلاء

لم تقف بعد موقف النقـــاش . لقد كان رأي الجدة لا يقبـــل نقاشا . انها تؤمن بما قالت ، وكان بالنسبة لعهد أمرا لا جـــدال فيه ولا يقبل مناقشة . وحاولت أن تتصرف بنفسها في هـــذا الموقف فاتفقت مع الدكتور عـــادل على أن لا يتزوجها قبل انتهائها من دراستها الجامعية ولم يكن أنانيا بل شجعها على مواصلة دراستها .

كانت عهد دائما تسأله عن صديقه الكاتب عصـــام عزمي . انها تعشق كتابته وعرفته من خلالهـــا ومن أحاديث الدكتور عنه ، فكانت تتنسم اخباره في لهفة واهتمام لا تعرف لذلـــك سببا . وقد كانت تعلل ذلك بأنه فضـــول منها وتلك غريزة من غرائز البشر . لقد عاشت في كتبه الحزينة وحزنت عنـــدما علمت انه فقد سمعه في حادث . وقد ذكر لها الدكتور عادل يوما بأنه يجب على عصام أن يسافر الى لندن لتجري له عملية هناك قد تعيد له سمعه ...

ونظرت عهد الى عادل في حنان وقالت :

ـ يا لك من طيب القلب يا عادل ، انك تشارك الناس آلامهم وافراحهم ، لقد جبل قلبك على الطيبة والنبل والوفاء .

ثم قالت لنفسها في حسرة ممتزجـــة بالالم والمرارة .. ليتني احببتك يا عادل واحببت هذا القلب الكبير الرحيم .. وليت حبك سكن قلبي .

لاحظ عادل الدمع يترقرق في عينيها فحاول أن يعرف سبب بكائها ولكنها رسمت ابتسامة باهتة على شفتيها كي لا تسبب له الآلام . وبعد شهور مضت كانت عهد تزداد شحوباً واصفراراً وأصبحت حياتها حزينة . لقد حاولت عبثاً أن تخمد الصوت الذي ينبعث من أعماقها . أأستطيع أن أنساك .. علاء ..

أين أنت ؟ حبيبي .. اني لا ....

ولكنها تعود وتثوب إلى رشدها فترة وتقول :

ـ ألم تكن هذه الفترات السعيدة التي قضيناها معاً سوى لهو بالنسبة إليك ؟..

ولكن الوعود التي أنارت وأضاءت قلبي .. أكانت وعوداً مزيفة ؟.

ودفنت وجهها في يديها وأطلقت صرخة مكبوتة تجاوب لصداها أرجاء المنزل ، فأسرعت إليها الجدة المسكينة لتجدها فاقدة الوعي ، فحاولت أن تعيدها إلى رشدها ولكن دون جدوى .

كان علاء لا يحب الظهور في المجتمعات ولكن ألح عليه شريف يوماً أن يذهبا إلى نادي اسبورتنج لما يمتاز به من هدوء فوافق . وذهبا إلى النادي في الأصيل وجلسا في حديقته وشربا قدحين من عصير الليمون . وفي ركن من الحديقة

جلست ندى مع بعض صديقاتها فوقع نظرها على علاء وشعرت بغصة في حلقها ، وأسرعت ضربات قلبها فقامت واتجهت ناحيته حتى وقفت أمامه وجهاً لوجه وهتفت به :

ـ علاء .. متى رجعت من سفرك ؟..

فنظر إليها في اضطراب وقد أذهلته المفاجأة ولم يتفوه بشيء وشل تفكيره .. ندى صديقة عهد أمامه فكيف يتصرف ؟ لم يستطع أن يفعل شيئاً غير أن يترك المائدة ويخرج من النادي .

وذهل شريف من الموقف ، ونظر إلى الفتاة التي تعرف حقيقة علاء وأطال النظر . ربما تكون هي فتاته التي أحبها . فقال لها في أسف :

ـ معذرة يا آنسة .. اكرر أسفي لما صدر من عصام .

فقالت له وهي ما زالت تنظر إلى علاء في ذهول لتصرفه الغريب :

ـ ماذا تقول ؟ اسمه عصام ؟!

قال في ارتباك :

ـ نعم ، عصام عزمي ، الكاتب المشهور ، فلا تؤاخذيه على تصرفه . انه لم يسمعك حتى يرد عليك الكلام .

فقالت في تعجب :

ـ انه يشبه الى حد كبير علاء حمدي صديق قديم لصديقة

طفولتي وزميلتي في الدراسة .

واستأذن منها شريف وتركها في حيرتها وتبع علاء الى الخارج بعد أن عرف انها ليست الفتاة التي أحبها علاء وانها ليست متأكدة من شخصيته .

وفي البيت الصغير المشيد على الرمال الناعمة ، وبجوار المدفأة ، جلس علاء تجاه شريف واخذ يحكي قصة حبه مع عهد وكأنها مسجلة على شريط سينمائي والحوادث تمر أمام مخيلته وهو يصف بكل امانة واخلاص . وانتصف الليل او كاد ولم يبرح أحدهما مكانه الا لأمر يقتضيه ما من قضاء بد ثم ليأخذ مكانه من جديد ..

لقد كاد علاء يتكلم بقلبه .. تخرج الآهات من فمه تحمل رائحة كبد محترقة . لقد باح بمكنون صدره .. آه من الحب .. كلمة صغيرة تحمل معاني كثيرة .. الحب يا صديقي قطرة غيث صافية تنبت في القلوب الرحمة والشفقة والبر والاحسان . وقد شرب قلبي من غيثه وهو بكر فتمكن منه . الحب عطاء وبذل وتضحية وايثار . وان الحب للحب ثقة مؤمن مترفع عن الدنايا متفان في حبه .. انه لا يبصر الا السمو ولا يشعر الا بالروحانية السامية لا المادية الرخيصة . الحب علاقة شريفة ورابطة مقدسة وزمالة نبيلة الغاية والمقصد .. وهل البذل الا من القلوب الرحيمة ؟ وهل هناك حياة للمرء بدون قلب ؟

وما فائدة هذا القلب الذي يخفق بدون حب ؟

أخي شريف . . لقد أحببت حباً لو قسم على قلوب البشر ما ترك قلباً الا وأحب .

واشرق الصباح عليهما وهما في جلستهما .

وسكت علاء وبدا الاعياء يظهر على وجه شريف وكأنه عائد من رحلة بعيدة مضنية أجهده المسير فيها . ثم دمعت عيناه دمعة تألقت على خده . . .

٢٠

ومرت الايام مر السحاب وتقلبت الحيـــاة تصفو وتكدر ، وشريف يحاول كل يوم أن يذهب الى النـــادي ليرى ندى حتى يعرف أخبار عهد ولكن مر عليه عدة ايام دون جدوى الى أن رآها مرة تخرج من النادي فذهب اليها مسرعا وقال لها بعـــد أن ألقى التحية عليها :

ـ اريدك يا آنستي في موضوع خطير فامنحيني بعضـــا من وقتك .

فقالت في ارتباك ظاهر :

ـ بكل سرور وأرجو أن يكون خيرا .

ـ انت بالطبع تعرفين العلاقة التي بين علاء وعهـــد ، فأين عهد الآن ؟ ..

فرفعت له عينيها وكأنها لا تصدق مـــا سمعت وقالت في ذهول :

ـ اني متأكدة انه علاء . ولكن لماذا يخفي نفسه .. ألانه فقد سمعه ؟

لقد شعرت أن هناك سرا جعله يبتعد عن عهد وهي التي ظنت أنه خان حبها وذهبت المجنونة وتزوجت انساناً لا تحبه .

فصرخ شريف وقال :

ـ تزوجت ؟ لماذا تقولين ؟ .

فقالت ندى :

ـ نعم ، عقد قرانها على الدكتور عادل حسن !

فهوت على رأس شريف المفاجأة كالصاعقة ، وقال وكأن صوته لا يريد أن يخرج :

ـ ماذا تقولين ؟ عـــادل حسن ... جراح الانف والاذن والحنجرة ! ..

فقالت :

ـ نعم هو بعينه .

وانحنى شريف ينظر الى الارض وجحظت عيناه وقال وهو يكاد يجن لهذه المفاجأة :

ـ يا للقدر . . مـــا اشد تعاسة الانسان . وما اتعسه لقد تضافرت الايام على تحطيمه والاساءة اليه .

قالت ندى والدموع تملأ عينيها :

ـ ان القدر من حقه أن يأخذ ما يعطي . فهو يلهو بحياتنا

ويلهو بدموعنا .

فقال وهو ينظر اليها في تعجب :

ـ يبدو انك مررت بتجربة قاسية في حياتك !

فضحكت ودموعها تسيل على خديها وقالت :

ـ ألست بشراً لعب القدر بي وقتا من الزمن كما لعب بغيري من بني جنسي ؟ ..

فأسبل جفنيه ونظر الى الارض وودعها منصرفا .

جلس علاء على مكتبه يقرأ ما كتبه في الكتاب الاحمر تلك الليلة .

صغيرتي . حبيبي الوحيد ....

مرت السنوات وأنا على حالي من التلهف والشوق والحب . مرت السنوات وأنا كالقائد الضال ولم أرك طوال هذه المدة وانما احس بوجودك . ان طيفك لا يغيب عني وصورك لم تبرح خيالي فانت مستقرة في مرآة الذهن .

ان حبك في كياني وايمـــاني . . في قرارة نفسي وسويداء فؤادي . ان قلبي جياش لا يستقر . . ثورته لا تهدأ . . يظهر على ملامحي ويرتسم في عيني وينطق به وجهي . لكنه حب ملك علي تفكيري ومشاعري فشل حركاتي . ان لساني لا يتحرك الا ليردد اسمك . .

ايها الحبيب الوحيد .

دموعي حـــائرة . . دموعي تبكي على أمس وأول أمس ، لاني لا أشعر أنك بعدت عني . وأشعر ببكائك معي . أنت تعلم يا حبيبي أن هذه الدموع من عينيك تحكي أيام ماض سعيد . . تحكي ذكريات جميلة . . دموع من عينيك وآه من لحظها وبريقها وصفائها ولونهـــا الاسود الكامل . . اتبكين على أمس ؟ . نعم أشعر أنك تبكين . . عيناك تبرق لمعاناً ودمعـــا وتكاد تلتقي بعيني . . انظري وراقبي ولا تدهشي . . فعيناي تبكي معك . . أتبكين على أمس ؟ وأمس الدابر لا يعود !

أتبكين حسرة على الماضي . . لقد كان الماضي سعيداً . . الماضي يا روح الفؤاد . . أيام وساعات . ومـــا أجلها من أيام وساعات .

لنذكر أمس ونبكي دموع فرح وابتهال ، فما من ماض الا وله انطباعات جميلة لانه ذكرى . لانه حلم مضى لانه حب وكان اول حب . وما الحب الا للحبيب الاول .

أتبكين على أمس . ودمعك على الخدود يتهاوى ويتوارى ويداك تلمس اللحظ المبتل من دموعي وتمسح من بين الاهداب قطرات الغمام وتنتظرين وتنطوين وتحمر وجنتـــاك وتخرج الآهات متقوعـــة بالزفرات وتضطرب الكلمات وتحبس في الفم فلا تخرج الى الشفاه . . أتبكين على أمس . وعيني تبكي ونفسي وروحي تبكيان فكلانا يبكي حسرة وحرقة وألمـــاً .

أبكي لاني أتخيل في دموعك آيات الابتهال وصور الماضي . .
أبكي لاني أشعر بحبك . . أشعر بحبنا . . أبكي على فراقنا .
تبكين . . وأبكي وتبكي معا دموعا تتدفق لتطفىء جذوة اللهيب . لهيب المـــأساة . . لهيب الآلام . . دخان الاحلام .
أتذكرين يوم قابلتك واخبرتك بأني مسافر واخذت تبكين وأنا عن يمينك اواسيك واناجيك . . وأنا بجانبك بجانب قلبك . .
ألا تصدقين . . كنت بجانبي بجمالـــك ورقتك وسحر عيونك وطهارة نفسك وعفة روحـــك انت لا غيرك . وأخذت يداي تلامس يديك ، ألا تصدقين . . نعم ، لمست يداي يديك . .
وشعرت يداي بيديك ، وتصب العرق من كفيك خجلًا وفرحا وطربا . . ورفعت يديك الى فمي وقبلتها . . وطبعت عليها من روحي نسمة فكانت قبـــلة وكانت فرحة . وارتابت يداك ، وارتابت نفسك وخالطها شعور بالنشوة والخجل والطرب والحياء .
ولمست الدموع ولمست القطرات بيدي واخذت اغتسل بهـــا واقبلها . . اقبل دموعك . أتبكين على يوم نحن فيه ! أتبكين . .
أقول لك الحق :

أبكي ما وسعك البكاء . . . وسابكي معك ما شاء لي البكاء . . وسنبكي طوال حياتنا . لقد حرمنا القدر لذة الحياة معاً .

دموعي ودموعك وقطرات عيني وقطرات عينيـــك دموع ودموع وأيام وأيام ، وكلها دموع على الذكريات .

طوى علاء الكتاب واظلمت الدنيا في عينيه وشعر بقلبه يحترق بين ضلوعه وانسابت العبرات .. عبرات اللوعة والحزن والاسى .. عبرات كلها رحمة وحنان بقدر ما فيها من مرارة وحرقة وحرمان . واحتضن الكتاب بيديه ونظر اليه مليا وكأنه يراها بين دفتيه فاخرج صورتها وأخذ يوسعها لثما وتقبيلا ويناجيها بأحلى المعاني . ثم وضعها داخل الكتاب ونهض من مكانه وأشعل سيجارة وأخذ يراقب دخانها المتصاعد ويتمثله كما لو كانت عهد تقف أمامه . وكم تمنى لو كان الخيال حقيقة حتى ترى ذلك العش الجميل .

***

في النادي ...

لم تصدق ندى عينيها حينما رأت الدكتور عادل يحوطها بنظراته الفاحصة ويراقبها وهي تلعب التنس مع احدى صديقاتها . ولما انتهت المباراة اقتربت منه وبنظراتها عانقته ومدت يدها له في صمت تصافحه . ثم قال :

ـ يسرني أن أراك بخير يا ندى !

فردت عليه وعيناها تلمعان ببريق جميل :

ـ لم أرك من مدة طويلة ! كيف حالك يا عادل ؟

قال بلهجة هادئة :

ـ ان الايام لا تساعدني على الاستقرار .

وهنا تذكرت عهدا فقالت له وهي تصطنع الابتسامة :
ـ ولكن أين عهد ، أليست معك ؟
فوقف فترة صامتا ثم قال :
ـ هل يمكن أن نجلس في مكان هادىء ؟
ـ بالطبع ممكن .
وسار الى أن وصلا الى ركن من حديقة النادي .
وسألته وهي تحاول أن تبدو لهجتها غير مرتبكة :
ـ عادل ، ماذا بك ؟ انك تبدو حزينا .
فقال بهدوء :
ـ انت يا ندى لست بغريبة عني سأبوح لك .. سأعترف بأنني وحيد . أقول لك اني بحاجة الى شخص حبيب يؤنس وحدتي ويسلي غربتي .
وتعجبت ندى من كلامه ومن تعبيرات وجهه الحزين وقالت :
ـ عادل يشعر بالوحدة ؟
وأين عهد ؟
قال :
ـ بعد اليوم الذي أخبرتك فيه عن رغبتي في الزواج من عهد ، وقررت بعاطفتي عقد قراننا وكنت واثقا بأن القدر سيساعدني على أن احظى بقلب عهد وساعدني الحظ على اتمام عقد القران فقط ، ثم وجدت قلبها لغيري ، لذلك

الانسان الذي احتله قبلي ، وحاولت أن أنسيها ماضيها ولا أنكر أنها هي الاخرى حاولت من جانبها نسيانه ، ولكن دون جدوى. وانتحلت الاعذار لتأجيل الزفـــاف فقبلتها وان كانت أعذارا واهية وقد شعرت بظلمي لها حين وافقت على الزواج مني بعد أن يئست من الانسان الذي أحبته . كان كل همي أن أراها سعيدة ولكن بمرور الوقت أشعر بأنها تفقد شيئاً من كيانها في نفسها ، حتى خيل لوالدها وجدتها بأنها فقدت عقلها . لقد ذبلت وأصبحت كالعود وضمر كل مـــا فيها ولم تعد تتكلم ولم تعـــد تسمع شيئاً حولها ولم تعد تهتم بنفسها . أصبحت وكأنها المعنية بقول الشاعر :

لولا مخاطبتي اياك لم ترني .

وانتفضت ندى وأخذت الدموع طريقها الى خديها وقالت :

ـ مسكينة عهد ! . .

فقال لها :

ـ أنت يا ندى تستطيعين أن تنقذيها وتساعديني لمعرفة السر الذي تخفيه عهد .

وقاطعته ندى بقولها :

ـ انتظرني يا عادل لحظة وسأحضر فوراً .

ووقف الدكتور عادل ينتظر ندى وشرد فكره :

. . يا لها من فرصة عظيمة تلك التي مكنتني من رؤية ندى . لقد كنت احاول الاتصال بها ولكنها كانت دائماً تتهرب مني .

ولولا صديقه الدكتور احمد لما جاء الى النادي .

ومر الوقت وشعر الدكتور عادل بملل وبشيء من الخوف . وجال بخاطره أن ندى ذهبت ولن تحضر . فكسا وجهه القلق ولكنه أفاق من تأملاته على صوتها يقول :

ـ لقد كتبت لك العنوان وستجد هناك الشخص الذي يحكي قصة عهد .

وارتعشت يداه وهو يأخذ منهـــا الورقة ثم وضعها في جيبه وقال :

ـ سأمر عليك غدا في هـــذا المكان ونفس الوقت أرجو أن القاك .

وودعها واستقل سيارة ومـــا ان سأله السائق عن العنوان حتى أخرج الورقة في ارتباك وحين وقعت عيناه على العنوان أصابته الدهشة . . انه عنوان صديقه عصـــام عزمي . ومـــ دخل عصام في قصة عهـــد ؟ وأعطى العنوان للسائق والافكار تطارده .

واتصلت ندى بشريف بعد ذهاب الدكتور واخبرته بكل شيء وأسرع شريف الى منزل علاء وبحث عنـــه في حجراته فلم يجده . وأخذ يفكر كيف يتصرف ، وهداه تفكيره الى ان يضع الكتاب الاحمر على المكتب . فأخرجه من الدرج ووضعه بشكل ملفت للنظر .

وأمر الخادم بادخال الدكتور عادل حينما يصل وان يطلب

منه انتظار علاء ريثما يعود .

وما هي الا لحظات حتى دخل الدكتور عادل غرفة الصالون وظل واقفاً يطيل النظر الى الرمال الواسعة يمتع نظره بهذا المكان الجميل . ثم مشى ناحية المكتب فلمح الكتاب الاحمر .

وأمسك به وتصفح الورقة الاولى ولم يكن يقصد القراءة ولكن ما بين سطوره اجبره على القراءة .

واحس بقلبه يذوب بين ضلوعه ومر الوقت وهو لا يشعر به وكلما انتهى من صفحة قرأ الاخرى والحقيقة المؤلمة تتضح رويدا رويدا امام عينيه . ويشعر بالكلمات وكأنها اصابع من حديد تمتد لتطبق على عنقه .

وبعد ان انتهى من القراءة وجد صورة عهد فذهل كيف يكون هذا . . . علاء هو صديقي عصام عزمي ؟ كيف لا اعرف هذه الحقيقة من قبل ؟

انني لم اتحدث امامه عن عهد ، وربما لو تحدثت امامه عنها لوضحت الحقيقة لي وله ، ولكن كيف يحدث كل هذا ؟

ومر لحظات وهو يغدو في الغرفة وفي رأسه عشرات الاسئلة واصوات لا يعرفها تمزق نفسه :

ـ يجب عليك أن تضحي . . الحب تضحية . . الحب بذل وعطاء . لقد اختارك القدر لان تكون كبش الفداء .

١٢

اتصل الدكتور عادل بعد خروجه من بيت علاء بجدة عهد وطلب منها ان تحضر معها عهدا لامر هام . وصلت عهد وجدتها قبل الغروب بساعة ، وما ان دخلت عهد الى البيت حتى وقع نظرها على الحارس الذي قدم لها الرسالة ، وما ان فضت غلافها حتى وجدت كتاباً من الدكتور عادل .

عهد . .

لا اعرف كيف ابدأ ومن اين ابدأ ، ولكن الذي اريد ان اقوله لك اني لم ادرك حبك الكبير . .

لقد كان حبي لك عميقاً ولكن ليس مثل حبكما . . اقصد انت وعلاء . . ولاول مرة في حياتي اجد معاني جديدة في الحياة. ان الحب لا يمكن أن ينمو الا اذا كان من طرفين ، ولذلك فانا احلك من الرباط الذي بيننا . .

وابتسم واقول :

عودي يا عهد الى حبك الكبير ، انه دائمـــا في انتظارك على الصخور ساعة الغروب .

ان حب علاء لك لم يمت .. حبه باق . وانـــه ابتعد عنك لانه اصيب في حادث وفقد سمعه قبل وصـــوله الى مصر ، ومن العجيب ان يكون الكاتب الذي عشت مع كتابته وقتا طويلا هو صديقي علاء .. هو عصام عزمي . فاسرعي اليه يا عهد ، فهـــو في حاجة اليك .

وستجدينني في حياتك ذلك الاخ الوفي على الدوام .

لخوك عادل

واحست بسهام تمزق جسمها النحيل وانسابت الدمـــوع من عينيها واندفعت الى الطريق تجري وصوت من اعماقها يصرخ :

ـ علاء فقد سمعه .. علاء فقد سمعه .. حبه لم يمت . انه في حاجة الي .. علاء فقد سمعه ..

وتطلعت اليها العيون في استغراب وهي تعـــدو دون وعي منها ويكاد جسدها يهوي على الأرض وظلت الاصوات تلاحقها .. علاء فقد سمعه ..

واختلطت دموعها بسيل السماء المنهمر .. وكأن الطبيعة تشاركها حزنها . لقد اكفهر الجو وتكهرب فتراكمت السحب وهبت الرياح قوية تقتلع الاشجار . ولمع البرق لمعاناً يأخـــذ بالابصار ، وبكت السماء بحرقة لبكاء عهـــد ، علها تغسل

جرحها الدامي . ان الارض تحمل على عاتقها مشكلات العالم الحزين وصوت الاعماق يصرخ : علاء .. فقد سمعه .. فتنفذ في سيرها .

ووصلت .. وعلى الصخور ، رأته يقف على مسافة قصيرة منها بقامته المديدة يطيل النظر الى البحر وكأنه قدر يغلي .. الامواج عالية عاتية والسماء تزمجر ويجاوبها بهدير امواجه . فركعت مرتعدة على ركبتيها واجهشت بالبكاء وراحت تهتف به دون ان يسمع هتافها فتفجرت خلايا جسدها بالاسى واحتبس صوتها وغدت عبرتها تهتف به بصمت .

وقامت تجر نفسها جرا الى ان اقتربت منه ووضعت يدها على كتفه . ولم يصدّق علاء عينيه عندما التفت ووجدها امامه .

القت بنفسها بين ذراعيه واجهشت بالبكاء واخذت الامطار تتساقط ..

كان اللقاء حارا وما احلاه من لقاء . وكان حنين وما اصدقه من حنين .. وكانت حقائق لا احلام .. وما احلاها من حقائق .. وتلاقت ايديهما وحكت ايديهما وتعانقت ايديهما .. وتكلمت ايديهما .. قالت الحب .. قالت الحنين .. قالت الماضي .. قالت المستقبل .

ثم تلاقت اعينهما . ورمشت جفونهما . وتلاقت نظراتهما وكانت حقائق لا احلام وما احلاها من حقائق . كانت تقول

اعينهما عن الحب .. عن اللقاء ... عن الحنين ... عن الماضي ... عن المستقبل .

وهطل المطر وجمعتهما الدموع فابتل جسداهما من بكاء السماء لتغسل ذكرياتهما الدامعة . وعلى بعد وقف الدكتور عادل وندى يرقبان ذلك الحب العاصف الكبير وسارا على الاقدام متماسكي الايدي تحت قطرات المطر المتساقطة وقلباهما يخفقان .. بأروع .. وانبل .. واقدس . . شيء في الوجود هو الحب ..

وخيم السكون على تلك البقعة التي جفت دموع تلك الذكريات الدامعة وساد الصمت ولم يكن هناك من صوت الا اصوات القطرات .. قطرات المطر المتساقطة ..

(تمت)

المؤلفة والكتاب

ليت « سميرة بنت الجزيرة » حدثت الآباء والأمهات على أن هذه الدموع تذرف في كل ناحية من نواحي بيوتهم بسبب التزمت العائلي الذي يجبر الفتاة للزواج في الأب والأم على الزواج بمن لا تحب ، لقد صورت بنت الجزيرة بأمانة ودقة ما يدور من مآس ينتج عنها فقدان أعز ما يحب الانسان .

انظروا أيها الآباء والأمهات ، انظروا إلى هذه الدموع وتساءلوا : لماذا تسكب بنت الجزيرة كل هذه الدموع في كتابتها .

اننا لو قد كرنا ذكرياتنا الدامعة لما ابتسمنا أبداً